روايات مصرية للجيب

٨٣

ملف المستقبل

لعمري جدا!!

أرض العدم

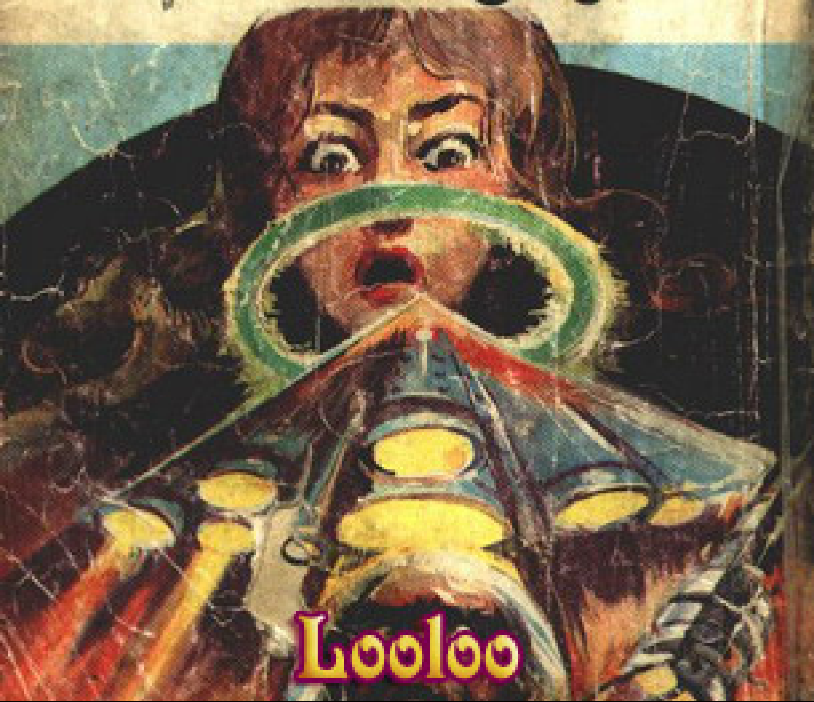

Looloo

www.helmelarab.net

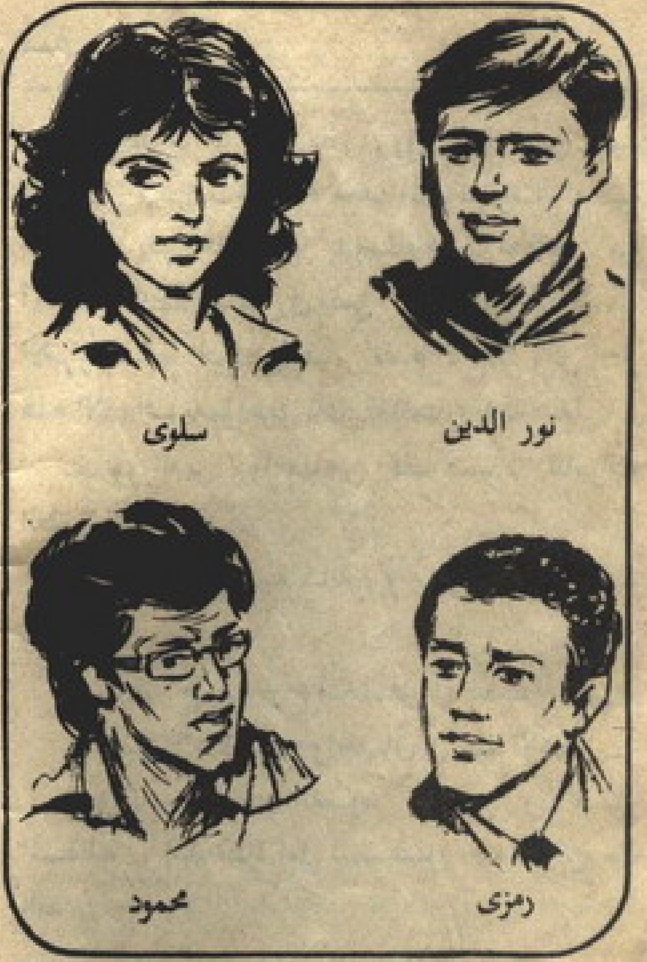

١ ـ الخطـــر ..

صورة رهيبة ، تبدأ بها أولى مشاهد قصتنا ..

صورة (نور) و (رمزى) ، داخل مركبة طائرة ، ومعهما الدكتور (رشاد خيرى) ، أكبر وأشهر خبراء الأشعة فى العالم ، على سطح قلعة (قايتباى) ، التى اقتحمها وأحاط بها حشد هائل من الهمج .. آكلو لحوم البشر ، الذين يجتذبهم قرص مضىء ، يرسل إشارات غامضة ، تزيد من ثورتهم ووحشيتهم ..

وهناك رجل واحد يتصدّى لهذا الحشد ..

رجل يُدعى (أكرم) ، يقاتل لمنع الهمج من اقتناص وافتراس (نور) ورفيقيه ، الذين تعطلت مركبتهم ، وعجزوا عن الفرار ..

ولكن .. أهذه هى البداية حقًا ؟..

ليس من السهل تحديد نقطة البداية الحقيقية ، بعدما أصاب الأرض ، إثر انفجار قنبلة (جاما) فى سماء الكوكب ، ورحيل غزاة (جلوريال) عنه (*) .

فقط يمكننا أن نعتبر أن البداية هى رسالة الدكتور (رشاد) ، التى استقبلها (نور) وفريقه ، فى مقرّهم

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

السرى ، وقرروا بذل جهدهم لاستعادة خبير الأشعة العالمى ، وانقاذه ؛ ليساعد فى البحث عن حل ، يستعيد به أهل الأرض عقولهم وحضارتهم ..

ورحل (نور) و (رمزى) إلى (الإسكندرية) ، فى مغامرة مثيرة رهيبة ، تعرّضت خلالها حياتهما لمخاطر رهيبة ، والتقيا خلالها بـ (أكرم) و (نادر) ، اللذين نجيا بمصادفتين عجيبتين ، من الآثار المدمّرة لقنبلة جاما ، واشتركا معهما فى مواجهة ثلاثة من مجرمى سجن القمر ، الذين أمكنهم الفرار ، والسيطرة على (الإسكندرية) ، فى إطار خطة طويلة ، تستهدف السيطرة على كوكب الأرض كله فيما بعد ..

ونجح الأشرار الثلاثة (جيسى) و (رالف) و (كارلو) فى اختطاف الدكتور (رشاد) والسيطرة عليه ، وصنعوا لنفسهم حصنا فى قلعة (قايتباى) ، أجبر فيه (رالف) الدكتور (رشاد) على معاونته ، للوصول إلى وسيلة لإعادة شىء من العقل والحضارة إلى عقول الأرضيين ؛ ليصبحوا مخلوقات نصف عاقلة ، يمكن لـ (رالف) السيطرة عليها ، واستعبادها ، فى سبيل اعتلائه عرش الأرض كله ..

وفى نفس الوقت ، كان باقى أفراد الفريق يواجهون الأخطار الجسيمة ، والمفاجآت المدهشة فى المقر السرى ..

لقد أصيب (س - ١٨) بالجنون ، وحاول مهاجمة الفريق أكثر من مرة ، وكأنما فقد سيطرته على نفسه ، وعلى عقله الإليكترونى المنظم ، ثم لم يلبث أن انطلق فى الفضاء ، نحو

الشمس ، ليتخلّص من ذلك القرص الشيطانى ، الذى وضعه (نور) فى صدره ، وهو يتصوّر أنه لن يؤذيه قط ..

أيضا بدأ الكمبيوتر يستقبل رسائل عجيبة ، تشير إلى وجود (نشوى) على قيد الحياة ، ثم لم يلبث أفراد الفريق أن نجحوا فى الاتصال بها فعليًا ، فى بُعد آخر ، مواز لبعدنا هذا ، إلا أن مخلوقات هاجمتها فى ذلك البعد الآخر ، وانقطع الاتصال بغتة ..

حدث كل هذا ، عندما كان (نور) و (رمزى) و (أكرم) والدكتور (رشاد) على سطح قلعة (قايتباى) ، يواجهون جيشًا جرارًا من الهمج ، بعد أن تخلّص (رالف) من زميليه (جيسى) و (كارلو) ، وتسبب فى مصرع (نادر) ، وفرّ من القلعة ، باستخدام مركبة طائرة أخرى ..

ولم تستجب مركبة (نور) ورفاقه ..

ولم تنطلق ..

وتضاعف هجوم جيش الهمج ..

وانعدم الأمل الأخير ..! (*)

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى (رمز القوة) ، (حصن الأشرار) .. المغامرتين رقم (٨١) ، (٨٢) .

ليس من السهل وصف ذلك الشحوب الشديد ، الذى بدا على وجه (سلوى) ، وهى تحدق فى جهاز الكمبيوتر ، بعد أن انقطع الاتصال بينها وبين ابنتها ..

كانت الصدمة قوية عليها بالفعل ..

لقد انتعش الأمل فى قلبها ، عندما تبيَّنت أن ابنتها على قيد الحياة ، وعادت تحلم بلقاء جديد معها ، ولكن القدر أبى عليها أن تستعيد سعادتها ، وجعلها تشهد خطرًا جديدًا يواجه الابنة ، وهى تقف عاجزة عن عمل أى شىء لإنقاذها ..

أما (محمود) ، فقد راح يعالج أزرار الجهاز فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث يا (نشوى) ؟.. أجيبى .. ماذا حدث ؟..

لم يتلقَّ جوابًا على رسالته ، وهو يكرِّرها أكثر من مرة ، فى حين أمسكت (مشيرة) يد الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهى تشير إلى (سلوى) ، قائلة :

ـ يا إلهى !.. دكتور (حجازى) .. أترى ما أصاب (سلوى) ؟

اندفع الدكتور (حجازى) نحو (سلوى) ، وأمسك كتفيها ليهزّها فى قوة ، قائلاً فى صوت مرتفع :

ـ (سلوى) .. لا تقفى ساكنة هكذا .. إننا سنجد وسيلة لإنقاذ (نشوى) بإذن الله .. لا تقفى صامتة هكذا يا (سلوى) .

تطلّعت اليه فى شرود عجيب ، جعله يصرخ بها :

ـ أخرجى من جمودك هذا .

وهوى على وجهها بصفعة قوية ، انتفض لها جسدها كله ، قبل أن تحدّق فى وجهه بذهول ، ثم تنفجر باكية ، وهى تقول :

ـ لم أعد أحتمل .. لم أعد أحتمل .. لقد فقدت ابنتى الوحيدة مرتين ..

ربت عليها فى حنان وإشفاق ، وهو يقول :

ـ إننا لم نفقدها للمرة الثانية بعد يا بنيتى .

أشارت إلى شاشة الراصد ، التى تنقل صورة الدائرة الخضراء اللامعة ، التى انكمش حجمها كثيرا ، وقالت :

ـ ألم تسمع صراخها الأخير .. لقد هاجمتها مخلوقات مجهولة ، ونحن نعجز حتّى عن إنقاذها ، وتلك الدائرة الخضراء ، التى تمثل طريقنا الوحيد اليها تنكمش باستمرار ، ولن نلبث أن نفقد آخر أمل فى الوصول إلى (نشوى) المسكينة ، مع مغيب شمس الغد .

بدا التوتر واضحا ، فى صوته وملامحه ، وهو يقول :

ـ سنعثر على وسيلة حتما .. سنعثر عليها بإذن الله ، قبل فوات الأوان .

قالت (سلوى) ، ودموعها تنهمر فى مرارة :

ـ آه .. لو كان (نور) هنا .

لم تكد تذكر اسمه ، حتى رفعت وجهها ، هاتفة فى ذعر :

ـ (نور) .. لماذا لم يصل بعد يا دكتور (حجازى) ؟.. ماذا أصابه ؟

لم ينبس الدكتور (حجازى) بحرف واحد ، وهو يتطلع إليها فى عطف واحد ، فقد كان قلبه يشعر أن (نور) و (رمزى) يواجهان الخطر ، فى هذه اللحظة ..

خطر الموت ..

* * *

امتقع وجه الدكتور (رشاد) فى شدة ، عندما أبى محرك الطائرة أن يعمل ، وسط ذلك الموقف الرهيب ، وحدق فى رعب فى جيش الهمج المخيف ، الذى يتصدى له (أكرم) فى استماتة ، وهتف فى شحوب :

ـ لا فائدة .. لقد انتهينا .. سنصبح مجرد طعام لهؤلاء الوحوش ..

وافقه (رمزى) فى أعماقه ، على هذا الشعور ، فى حين واصل (نور) محاولاته لإشعال محرك المركبة الطائرة ، وصرخ (أكرم) :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. لن أحتمل أكثر من هذا .

انقض عليه أحد الهمج فى هذه اللحظة ، وانتزع منه المدفع الليزرى فى عنف ، ولكن (أكرم) حطم فكه بلكمة كالقنبلة ، ثم انتزع مسدس (نور) من حزامه ، صارخا :

ـ أسرعوا .

اشتعل المحرك فى هذه اللحظة ، فتشبث الدكتور (رشاد) بمقعده ، صائحا :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع .

انطلقت المركبة الطائرة ، وارتفعت عن سطح القلعة ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (أكرم) أشعة مسدسه على أحد الهمج ، ثم اندفع يعدو نحو سور القلعة ، المطل على البحر ، صائحًا :

ـ لن تنالونى حيًا أيها الأوغاد .

هتف (رمزى) من داخل المركبة ، وهو يشاهد (أكرم) ، منطلقًا نحو سور القلعة ، حيث يموج البحر بعشرات الهمج :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

أجابه (نور) ، وهو ينحرف بالمركبة الطائرة ، فى حركة حادة :

ـ ينتحر .

تمتم الدكتور (رشاد) بصوت مرتجف :

ـ لو أننى فى مكانه ، لاخترت هذا أيضًا .

انخفض (نور) بالمركبة ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا تقل هذا يا سيدى ، فالانتحار نوع من الجبن ، والكفر برحمة الله (سبحانه وتعالى) .

كان (أكرم) قد بلغ سور القلعة فى هذه اللحظة ، وخلفه جيش ثائر من الهمج ، فقفز يعتلى السور ، وألقى نفسه من أعلاه ، نحو البحر الممتلئ بالهمج الآخرين ، فاندفع (نور) تحته بالمركبة ، مستطردًا :

ـ فهناك دائمًا أمل فى النجاة .

لم يكن (أكرم) يتصوّر ، وهو يلقى نفسه من أعلى القلعة ، أنه سيظلّ حيًا يرزق ، فلم يكن مصيره يتجاوز التحطّم فوق الصخور ، أو الموت بأيدى الهمج ، ولكنه فوجئ بجسده يهوى نحو مركبة (نور) الطائرة ، وهذا الأخير يهتف به :

ـ تشبّث ياصديقى .

رفع (أكرم) ذراعيه بحركة غريزية ، ورأى ذلك الجزء البارز ، إلى جوار مقعد (رمزى) ، فأطبق أصابعه عليه بكل قوته ، وتشبّث به فى شدة ، وشعر بآلام فى ذراعيه ، عندما توقف جسده فجأة ، ومالت المركبة إلى الجانب الأيمن فى شدة ، وكادت ترتطم بجدار القلعة ، فصاح الدكتور (رشاد) :

ـ احترس يا (نور) .. احترس .

دفع (نور) عصا القيادة إلى اليسار فى مهارة ، فانحرفت المركبة ، قبل نصف المتر من ارتطامها بالجدار ، ولكنها انخفضت أكثر ، حتى كاد الهمج فى البحر يمسكون ساقى

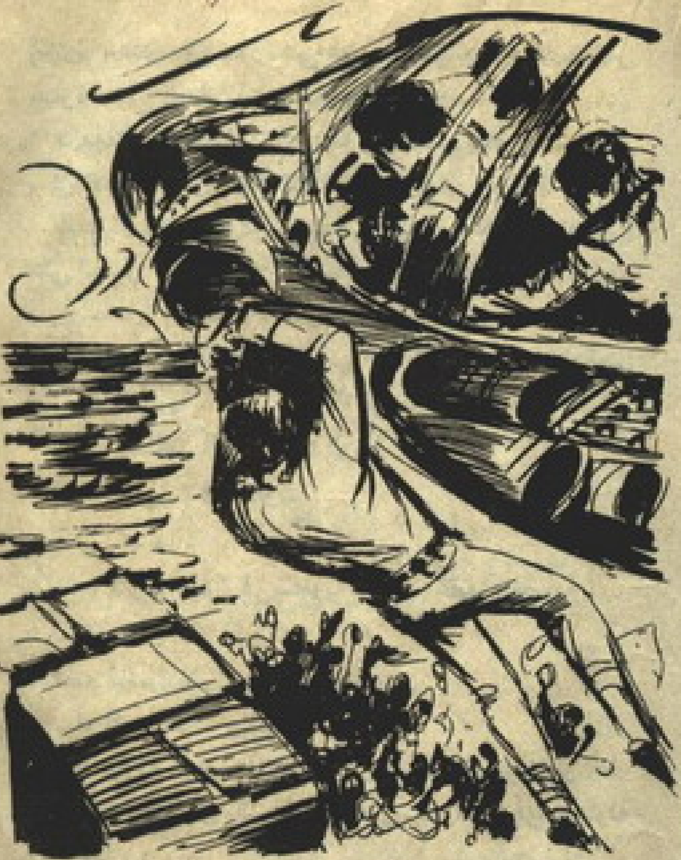

ومالت المركبة إلى الجانب الأيمن فى شدة ، وكادت ترتطم بجدار القلعة ..

(أكرم) الذى رفع جسده إلى أعلى ، وهو يصرخ فيهم ، فى عبارة تمتزج السخرية فيها بالرهبة :

ـ مهلا أيها المتوحشون .. ما زال اسمى يحتل مكانه ، فى سجل الأحياء، ولن أسمح لكم بمحوه الآن ..

شحذ كل قواه ، ودفع جسده إلى أعلى ، وعاونه (رمزى) على الصعود إلى المركبة ، ثم حاول أن يفسح له مكانا ، بينه وبين الدكتور (رشاد) ، الذى لاحظ أن المركبة أصبحت تطير على ارتفاع منخفض للغاية ، إلى الحد الذى قد يسمح لهمجى قوى بالقفز إليها ، فسأل (نور) فى جزع :

ـ هل ستحتمل المركبة هذا الوزن ؟

أجابه (نور) فى خفوت :

ـ إلى حد ما .

وهنا قال (أكرم) فى سخرية ، تغلب عليها العصبية :

ـ أتحب أن أقفز ثانية ؟

تمتم الدكتور (رشاد) فى توتر :

ـ لم أقصد هذا ، وإنما ..

بتر عبارته فجأة ، عندما رأى ارتفاع المركبة ينخفض أكثر وأكثر ، وعددا من الهمج يسرعون نحوها ، فى محاولة لإسقاطها ، و ...

وفجأة دوى انفجار مكتوم عند القلعة ..

لقد انفجر ذلك القرص المضىء ، الذى كان يجذب الهمج ، ويثير ثائرتهم فى شدة ..

ولم يكد القرص ينفجر ، حتى راح الهمج يصرخون ، وهم يسدون آذانهم فى قوة ، مما سمح للمركبة بتجاوزهم فى سرعة ، و (أكرم) يقول :

ـ يا إلهى !.. من الواضح أن ذلك القرص كان له تأثير هائل عليهم .

قال (نور) ، وهو يبتعد بأقصى سرعة :

ـ هذا من حسن حظنا ، فانفجاره الآن سيمنحنا فرصة كافية ، للخروج من (الإسكندرية) ، واتخاذ طريق العودة إلى (القاهرة) .

سأله الدكتور (رشاد) فى لهفة :

ـ كم نحتاج من الوقت لبلوغها .

أجابه (نور) ، وهو يلقى نظرة سريعة ، على أرقام عداد السرعة :

ـ بهذه السرعة سنبلغ المقر السرى فى نصف الساعة على الأكثر .

تمتم الرجل فى ارتياح :

ـ عظيم .

أما (رمزى) ، فسأل فى قلق :

ـ ولكن أين ذهب (رالف) ؟

أجابه (أكرم) فى خشونة :

ـ فليذهب إلى الجحيم .. لم أعد أحتمل حتى سماع اسمه .

ولكن بعيدا ، فوق مستوى السحب ، كانت مركبة (رالف) تتبعهم فى حرص ، وكان هذا الأخير يقول لنفسه فى حنق وسخط ومقت :

ـ لقد نجوتم هذه المرة يا سادة .. وربما كان هذا من سوء حظ فريقكم كله .. إننى أستطيع إسقاطكم الآن ، بمدفع الليزر الذى أملكه فى مركبتى هذه ، والذى لا تملكون مثله فى مركبتكم ، ولكننى لن أفعل .. سأسمح لكم ببلوغ مقركم السرى ، وبعدها أنسف الجميع .. أنسفهم نسفا .

وانطلقت ضحكته فوق السحاب ..

وكانت ضحكة شيطان .

* * *

٢ ـ الأمـــل ..

ـ هل تسمعينى يا (نشوى) ؟.. أجيبى ..

ردّد (محمود) هذا النداء فى صبر ، لنصف ساعة كاملة ، قبل أن يكسو اليأس ملامحه ، وهو يخفض وجهه أرضا ، مغمغما :

ـ لا فائدة .

انغرست كلمته كخنجر حاد ، فى قلب (سلوى) ، التى أخفت وجهها بكفيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فى حين ران الصمت التام على المكان ، قبل أن يقول الدكتور (حجازى) فى خفوت :

ـ لست أصدق هذا .

ألقت (مشيرة) نظرة مشفقة على (سلوى) ، وقالت :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يا دكتور (حجازى) ؟

ألقى نظرة على الدائرة الخضراء اللامعة ، التى تنقل شاشة الراصد صورتها فى قلب السماء ، وقال :

ـ لابد أن نجد وسيلة ، لبلوغ تلك الفجوة بين الأبعاد .. لابد .

ضرب (محمود) كفه براحته ، وهو يقول :

ـ آه لو كان (س ـ ١٨) هنا !

رفعت (سلوى) رأسها بغتة ، وقالت فى مرارة شديدة ، وبكلمات اغتسلت بالدموع :

ـ أو (نور) .. أين ذهب (نور) ؟.. هل فقدت ابنتى وزوجى معًا ؟

أمسك الدكتور (حجازى) كتفيها ، وقال :

ـ لا يا ابنتى .. لا تفقدى الأمل .. سيعود (نور) بإذن الله (سبحانه وتعالى) ..

سيعود ظافرًا .

وفجأة هتفت (مشيرة) :

ـ انظروا .

التفت الجميع إلى شاشة الراصد ، التى تشير إليها ، وهتفت (سلوى) ، فى صوت قفزت إليه رنة أمل :

ـ (نور) !!

كانت الشاشة تنقل صورة المركبة الطائرة ، التى تنطلق على ارتفاع منخفض ، وبسرعة معقولة نسبيًا ، بالنسبة للسرعات المعروفة فى القرن الحادى والعشرين ، قبل انفجار قنبلة (جاما) ، وعلى متنها (نور) و (رمزى) و (أكرم) ، والدكتور (رشاد) ، وهتفت (مشيرة) فى انبهار :

ـ لقد نجح (نور) .. نجح وأنقذ الدكتور (رشاد خيرى) ، ومعه شخص آخر .. والأروع أنه حصل على مركبة طائرة .

أمسكت (سلوى) يد الدكتور (حجازى) ، وهى تقول فى انفعال :

ـ مركبة طائرة ؟!.. هذا هو الأمل المنتظر يا سيدى .

شعر الدكتور (حجازى) بقلبه ينبض فى قوة ، وهو يقول :

ـ نعم يا بنيتى .. إنه الأمل .

هبطت مركبة (نور) فى هذه اللحظة ، عند مدخل المقر السرى ، وتلفت (نور) حوله ، وهو يقفز خارجها ، قائلًا فى قلق :

ـ أين (س ـ ١٨) ؟.. المفروض أن يكون هنا .

سأله (أكرم) :

ـ ما (س ـ ١٨) هذا ؟

أما الدكتور (رشاد) ، فقد بدا شديد القلق ، وهو يقول :

ـ أين المقر السرى ، الذى تتحدثون عنه ، منذ غادرنا (الإسكندرية) ؟!.. لست أرى سوى بعض الأطلال والصخور ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انزاح الباب السرى للمقرّ فى خفوت ، وكشف عن المدخل الخفى ، الذى اندفعت منه (سلوى) ، وخلفها باقى أفراد الفريق ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

ألقت نفسها بين ذراعيه ، فاحتواها فى حنان ، وسألها :

- أين (س ـ ١٨) ؟.. ماذا حدث هنا ؟

أجابته والدموع تنهمر من عينيها فى غزارة :

- لقد رحل (س ـ ١٨) يا (نور) .

هتف فى دهشة :

- رحل ؟!.. إلى أين ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يصافحه فى حرارة ، تاركًا (محمود) و (مشيرة) يستقبلان (رمزى) و (أكرم) والدكتور (رشاد) :

- لسنا ندرى أين ذهب (س ـ ١٨) يا (نور) ، ولا لماذا رحل ، ولكن ليس هذا هو المهم الآن .

سأله (نور) فى قلق :

- ما المهم إذن ؟

هتفت (سلوى) :

- (نشوى) يا (نور) .. ابنتنا .

سألها فى حذر قلق :

- ماذا عنها ؟

هتفت بكل ما يجيش به صدرها من انفعالات :

- إنها على قيد الحياة يا (نور) ، ولدينا أمل واحد فى استعادتها .. أمل واحد فقط ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

* * *

استمع (نور) إلى زوجته فى انتباه شديد ، وجسده كله يزخر بانفعال جارف ..

لم يكن يصدّق أذنيه ..

كان الخبر عجيبًا ، والأمل حافزًا جديدًا لقلبه الملتاع ..

ابنته على قيد الحياة ..

يا لها من مفاجأة !..

ولكن ذلك الأمل ، الذى وُلد فى صدره ، لم يلبث أن اصطدم بذلك الخطر الجديد ، الذى تتعرّض له (نشوى) ، فالتفت يتطلّع بدوره إلى شاشة الراصد ، وإلى الدائرة الخضراء اللامعة فى قلب السماء ، وقال فى خفوت :

- إذن فتلك الدائرة العجيبة ، التى صنعها (س ـ ١٨) قبل رحيله ، هى الفجوة الوحيدة ، بيننا وبين ذلك البعد الآخر ، الذى انتقلت إليه (نشوى) !

قال (أكرم) فى صوت حاسم :

- وهى السبيل الوحيد لاستعادتها .

تطلّع إليه (نور) بنظرة خاوية ، وهو يقول :

- نعم .. هى كذلك .

ثم اعتدل مستطردًا :

- ولدينا الوسيلة الآن .

ابتسم (أكرم) ابتسامة أقرب إلى الجزل ، وهو يرفع المسدس الليزرى فى حماس ، قائلًا :

- نعم .. المركبة التى أهدانا إياها ذلك الوغد (رالف هينريش) .. هيا يا سيادة الرائد .. سنذهب لاستعادة ابنتك .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- أشكر لك تطوّعك وحماسك يا عزيزى (أكرم) ، ولكننى سأذهب وحدى .

أجابه (أكرم) فى مرح حماسى :

- ومن سيسمح لك ؟

أجاب (نور) :

- لا تنس أننى القائد هنا يا (أكرم) ، واتخاذ القرارات من سلطتى وحدى ، ثم ان (س - ١٨) قد رحل ، ومن الضرورى أن يعمل شخص ما على حماية المقر السرى ، فى الوقت الذى يشترك فيه الدكتور (رشاد خيرى) مع (محمود) ، للبحث عن وسيلة لإنتاج القنبلة المضادة لأشعة (جاما) ، ولست أجد هنا سواك ، لإسناد مهمة الحماية إليه .

بدأ وكأن حديثه قد أثلج صدر (أكرم) ، الذى اعتدل فى حماس ، ورفع يده بتحية شبه عسكرية ، وهو يقول :

- سمعا وطاعة أيها القائد .. اذهب أنت فى رعاية الله ، وليطمئن قلبك على المقر السرى .. سأدافع عنه بحياتى .

ابتسم (نور) ، قائلا :

- كنت أعلم هذا .

قال (رمزى) فى حزم :

- سأصحبك أنا يا (نور) .

وهتفت (سلوى) :

- بل سأذهب أنا .. إنها ابنتى .

حسم (نور) هذا الجدل ، وهو يقول فى صرامة :

- لن يرافقنى أحد .. إنها ليست رحلة استجمام أو حتى مهمة عادية .. إننا نواجه شيئا مجهولا ، لا نثق فى إمكانية التصدى له ، ولا حتى فى احتمال قدرتى على عبورة ، وليس هناك أدنى داع ، للمخاطرة بنصف الفريق ، ونحن نجهل النتائج تماما .

وصمت لحظة ، واجه فيها الجميع بنظرة حازمة ، قبل أن يستطرد :

- ثم إن تلك المركبة الطائرة ذات محرّك ضعيف ، نسبيًا ، ولقد رأيتم كيف أنها لم تنجح فى التحليق عاليا ، وعلى متنها أربعة أفراد ، وهذا يعنى أن فرصة فرد واحد فى بلوغ الفجوة ، تفوق حتما فرصة فردين .

ران الصمت لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم (أكرم) :

- أنت على حق .

اعتدل (نور) فى وقفة حاسمة ، وهو يقول :

- أستودعكم الله يا رفاق .. سأذهب خلف (نشوى) .

هتفت (سلوى) فى لوعة :

- (نور) .. احترس يا (نور) .

منحها ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. سأبذل قصارى جهدى لاستعادة ابنتنا ، والعودة بها على قيد الحياة .

رافقه الجميع إلى خارج المقرّ السرى ، حيث استقرّت المركبة الطائرة ، على وسادة من الهواء ، ترفعها نصف المتر تقريبًا عن الأرض ، وقالت (سلوى) مرة أخرى ، ودموعها تبلّل وجنتيها :

ـ عد يا (نور) .. قاتلِ لتعود مع ابنتنا ؟

ابتسم قائلًا :

ـ أعدك أن أحاول ..

وفجأة هوى شعاع من الليزر ، على بعد متر واحد منهم ، وتفجّر فوق الأرض الرملية ، فهتف (أكرم) :

ـ احترسوا .

تراجع الجميع فى حركة حادة ، وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يشير إلى السماء :

ـ إنها مركبة طائرة أخرى .

صاح (أكرم) ، وهو يدفعه داخل المقر السرى :

ـ ومدفع ليزرى .

تفجرت حزمة أخرى من الأشعة ، بالقرب من مدخل المقر السرى ، مع انقضاضة من مركبة (رالف) ، وهتف (نور) فى وجه (سلوى) و (محمود) و (مشيرة) :

ـ أسرعوا .. اسرعوا إلى الداخل .

وصاح (رمزى) :

ـ إنه ذلك الوغد (رالف) .. لقد تبعنا إلى هنا .

سقطت حزمة أخرى من الأشعة ، تفجّرت لها بعض الصخور ، وتطايرت شظاياها فى عنف ، فصاح (نور) :

ـ إلى الداخل .

انطلق الجميع يعدون إلى الداخل ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ المركبة يا (نور) .. المركبة الطائرة .

هتف به (نور) :

ـ حاول أن تشغل ذلك الوغد عنى ، حتى أبلغ المركبة الطائرة .. لابد من حمايتها .

أخرج (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى حزم :

ـ أسرع أنت إليها .

كانت مركبة (رالف) تتخذ دورة ثانية فى الهواء ، ثم تنقضّ على (أكرم) و (رمزى) و (نور) ، فصاح (أكرم) ، وهو يرفع مسدسه فى مواجهتها :

ـ أسرع أيها الرائد .

اندفع (نور) نحو المركبة ، فى حين تصدّى (أكرم) لمركبة (رالف) فى بسالة مذهلة ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى نحوها فى إسراف ، وهتف (رمزى) :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. إنه سيسحقك سحقا بمدفعه الليزرى .

ولكن (أكرم) واصل إطلاق أشعة مسدسه على المركبة ، وكأنه لا يبالى بمصيره ، إلا أن (رالف) انحرف بمركبته فجأة ، وانقض على المركبة الأخرى ، قبل أن يبلغها (نور) ، و ...

وهوت أشعة مدفعه الليزرى على المركبة الثانية ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالمركبة الثانية ، وألقى (نور) على بعد ثلاثة أمتار منها ، وحطم معها الأمل فى إنقاذ (نشوى) ..

الأمل الأخير ..

* * *

٣ ـ الخدعة ..

شعر (نور) بمرارة لا حصر لها ، وهو يراقب مركبة (رالف) على شاشة الراصد ، وهى تحوم حول المقر السرى ، كطائر شيطانى هائل ، يحاصر عشا من أعشاش الطيور الصغيرة ، وقال :

- إنه يحاصرنا تماما .. ونحن لا نملك أسلحة كافية للتصدى له .

قالت (سلوى) فى هلع :

- ولكن لا بد لنا من الخروج يا (نور) .. الوقت يمضى فى سرعة ، فلقد أشرقت الشمس ، والفجوة الخضراء تزداد انكماشا ، مع مرور الساعات .

بدا التوتر على وجه (نور) ، والدكتور (حجازى) يقول فى أسف :

- وفيم يفيدنا الخروج من هنا ، قبل مرور الوقت .. لقد خسرنا المركبة الطائرة .

اعتدل (أكرم) ، وهو يقول فى حزم :

- مازالت هناك مركبة أخرى .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- أين ؟

أشار إلى مركبة (رالف) ، التى تبدو على الشاشة ، وأجاب :

- ها هى ذى .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- وكيف تتصوَّر حصولنا عليها ؟

أجابه فى حزم :

- باستخدام أساليبك أيها الطبيب النفسى .

بدت العيون نظرة تساؤل ، فتابع :

- هذا الوغد مصاب بعقدة العظمة .. أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) :

- بلى .. هذا واضح تمامًا .

أمسك (أكرم) مسدسه ، وقال :

- سنستغل عقدته هذه .. ألديكم استعدادًا لهذا ؟

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- أنا مستعد لأى شىء ، من أجل (نشوى) .

غصَّ حلق (مشيرة) بمرارة شديدة ، مع عبارته ، فأشاحت بوجهها فى صمت ، لتخفى ذلك الحزن الذى ارتسم على وجهها ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- كلنا على أتمِّ الاستعداد لهذا .

التفت (أكرم) إلى (نور) ، وقال :

- وماذا عنك ؟

أجابه (نور) :

- إنها ابنتى .

سأله (أكرم) :

- وهلْ تثق فى قدرتى على حماية الآخرين هنا ؟

أجابه (نور) فى حسم :

- تمام الثقة .

أومأ (أكرم) برأسه ، ثم اعتدل قائلًا :

- اسمعوا إذن خطتى .

وشرح لهم ما لديه ..

* * *

حام (رالف) بمركبته حول المقرِّ السرى فى زهو ، وأطلق واحدة من ضحكاته الشيطانية ، وهو يقول لنفسه :

- هأنذا أضعكم فى موضعكم الطبيعى يا أبطال الأرض .. مجرَّد جرذان تختفى داخل جحورها .. ويل لمن يجرؤ على الخروج منكم .. سأسحقه سحقًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انزاح مدخل المقرّ السرى فى هدوء ، وخرج منه (أكرم) ، الذى وقف معتدل القامة فى اعتداد ، ولوَّح بمسدسه الليزرى فى قوة ، وهو يهتف :

- هيَّا أيها الوغد (رالف) .. اهبط لو أنك تمتلك الشجاعة الكافية .. إننى أتحداك .

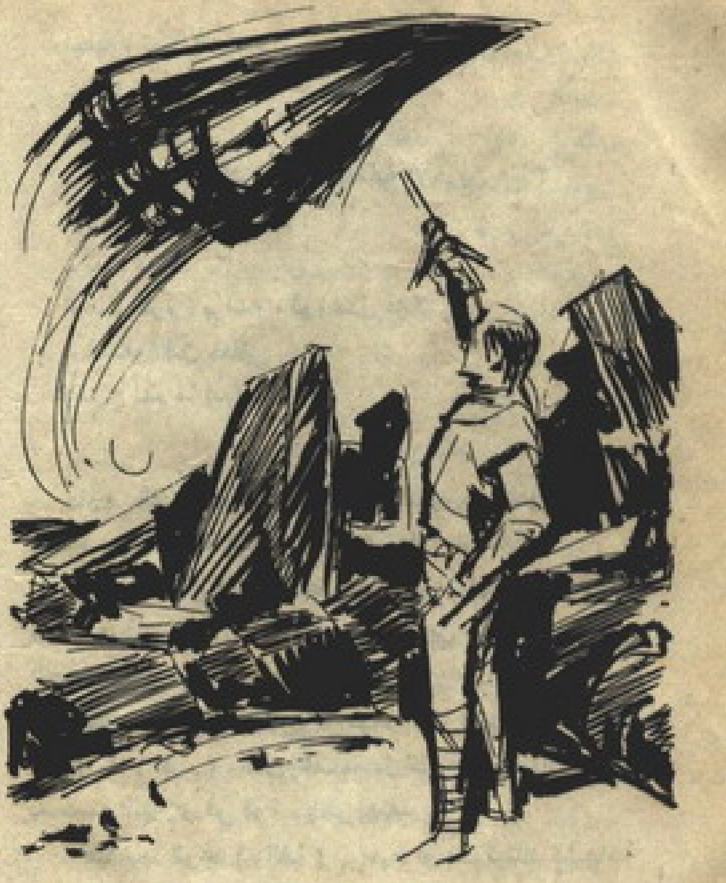

وخرج منه (أكرم) ، الذى وقف معتدل القامة فى اعتداد ، ولوح بمسدسه الليزرى فى قوة ..

ابتسم (رالف) فى سخرية ، وقال :

ـ لن تخدعنى بأسلوبك هذا أيها الغبى .. أعلم أنها محاولة لإيقاعى فى فخ ، ولكننى سأفسد لعبتكم كلها .

استدار بمركبته فى براعة ، ثم انقضّ على (أكرم) ، الذى أطلق حزمتين من الأشعة نحو المركبة ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها أشعة مركبة (رالف) على مقربة من المقر السرى ..

ومال (رالف) بمركبته مرة أخرى ، واندفع خلف (أكرم) ، الذى راح يعدو بين الأطلال ، وينحرف من نقطة إلى أخرى ، و (رالف) يهتف :

ـ لن تفلت منى أبدا أيها الجرذ البشرى .. سأقتنصك كأحقر حيوان على وجه الأرض ، مهما حاولت الفرار .

أطلق حزمة أخرى من الأشعة ، تفجّرت خلف (أكرم) بمتر واحد ، فدفعته موجة التضاغط الناشئة إلى الأمام ، وألقته أرضًا ، ولكنه اعتدل واقفًا على قدميه فى سرعة ، وعاود الجرى وسط الأنقاض ، وهو يقول لنفسه :

ـ هيا يا (أكرم) .. مائة متر أخرى ، وتضع ذلك الوغد حيث تريد .

انطلق بأقصى سرعته ، نحو نقطة انتخبها مسبقًا ، ومركبة (رالف) تطارده بين الأطلال ، ثم قفز داخل منطقة مزدحمة من الأنقاض ، واختفى بينها فى سرعة ومهارة ، اكتسبهما من طول

تعامله مع جحافل الهمج ، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية ، هاتفًا :

ـ هزمتك أيها الوغد .

شعر (رالف) بغضب شديد ، عندما اختفى (أكرم) ، وهتف :

ـ لن تفلت أيها الحقير .

أطلق أشعة مدفعه مرة ، وثانية وثالثة ، وفجّر جدارًا ، ونسف آخر ، وأسقط بقايا منزل متهدّم ، ولكنه لم يعثر على (أكرم) ..

وفى حنق ساخط ، دار (رالف) بمركبته حول المكان عدة مرات ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ لن تفلت بهذا أيضًا .

ضغط زر الطيران الآلى فى مركبته ، ثم أخرج من حقيبة ضخمة إلى جواره ، زيًا خاصًا ، قال وهو يرتديه فى حزم :

ـ سأعلمك أن جعبة (رالف هينريش) لا تنضب أبدًا .

ارتدى ذلك الزى الفضى اللامع ، ذا الخوذة الشفافة ، وحمل على ظهره حقيبة كبيرة ، ثم أمسك مدفعًا ليزريًا ، وألغى عمل الطيّار الآلى ، ثم دار حول المنطقة دورة أخرى ، قبل أن ينتخب مساحة خالية منها ، ويتجه للهبوط فوقها ، قائلًا فى صرامة :

ـ ستدفع الثمن أيها الحقير .. ستدفع ثمن تحديك لإمبراطور الأرض المقبل .

هبط بالمركبة فى المكان المنتخب ، وغادرها مرتديًا ذلك الزى العجيب ، الذى جعله أشبه بمخلوق من مخلوقات الفضاء ، واتجه بمدفعه الليزرى نحو تلك الأطلال الكثيفة ، التى اختفى داخلها (أكرم) ، وصاح فى صرامة :

ـ لن تفلت هذه المرة أيها المتحذلق .

جاوبته ضحكة ساخرة عالية ، أتت من مصدر مجهول ، وترددت وسط الأطلال طويلًا ، فصاح والغضب يتقافز من كل خلية من خلاياه :

ـ لن تفلت أبدًا .

ثم اندفع نحو الأطلال فى ثورة ، وهو يُطلق مدفعه الليزرى حوله فى غضب ، دون أن يتوقف تردد تلك الضحكة الساخرة ، ثم لم يلبث (أكرم) أن هتف فجأة ، من مكان ما :

ـ لقد وقعت أيها العبقرى .. وقعت مثل أى نمر ساذج ..

تسمّر (رالف) فى مكانه ، عند هذه النقطة ، واندفع عقله يسأل عما تعنيه هذه العبارة ، ثم لم يلبث الجواب أن قفز إلى ذهنه بغتة ، فهتف :

ـ المركبة ؟!

التفت فى حركة حادة إلى حيث ترك مركبته الطائرة ، وتفجّر

بركان من الغضب والسخط فى أعماقه ، عندما رأى (نور) يندفع نحوها ، ويقفز داخلها ، فصرخ كالمجنون :

ـ لا .. أترك المركبة .. اترك مركبتى .

انطلق يعدو عائدًا إلى المركبة ، وهو يطلق أشعة مدفعه نحوها فى غضب ، و (أكرم) يهتف :

ـ أسرع يا (نور) .. انطلق يا رجل .

ضغط (نور) أزرار القيادة ، ثم جذب العصا المصنوعة من (التيتانيوم) ، فارتفعت المركبة ، وانطلقت مبتعدة ، و (رالف) يُطلق نحوها أشعة مدفعه الليزرى ، هاتفًا :

ـ عد .. عد أيها الحقير .

مرقت حزم الأشعة حول المركبة ، و (نور) ينطلق بها مبتعدًا ، حتى شعر بحزمة منها ترتطم ببطن المركبة ، التى ارتجّت فى قوة ، وانبعث منها خيط من الدخان الداكن ، شاهدته (سلوى) على شاشة الراصد ، فأطلقت صرخة ذعر ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. لقد أصاب (نور) .

وهتف الدكتور (حجازى) :

ـ ربّاه !!.. هل سنفقد آخر أمل لإنقاذ (نشوى) ؟

ولكن (نور) واصل انطلاقه بالمركبة ، نحو الدائرة الخضراء اللامعة ..

كان يعلم أن مركبته قد أصيبت ، وأنها ستقطع بالكاد تلك الرحلة الأخيرة ، نحو الثقب الأخضر ..

ويعلم أنها ـ لو نجحت فى عبوره ـ فإنها لن تعود منه أبدًا ..

ولكنه لم يبال ..

كانت لديه وسيلة لعبور الفجوة ..

الطريق الوحيد إلى ابنته ..

ولن يتنازل عن هذه الوسيلة ..

أو يتراجع عن الهدف ..

إنه سيعبر الفجوة ، إلى حيث ابنته ، حتى ولو لم تكن هناك وسيلة للعودة ، أو للخلاص منها ..

وعلى شاشة الراصد ، رأى الجميع ما يفعله (نور) ..

وأدركوا ما ينتويه ..

وفى ذهول ، رددت (مشيرة) :

ـ إنه سيعبر الفجوة .

هتف (رمزى) :

ـ هذا انتحار .

وغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لن يتراجع (نور) أبدًا .. إنها طبيعته .

وتمتمت (سلوى) :

ـ وابنته .

تعلّقت عيون الجميع بالمركبة ، التى تنطلق بكل ما تبقّى من قوتها وسرعتها نحو الفجوة الخضراء ، فى كبد السماء ..

حتى (رالف) ، تطلّع إلى ما يفعله (نور) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟.. وما هذه الفجوة العجيبة ؟

أما (نور) نفسه ، فقد توقّف عقله عن التفكير فى أى شىء ، باستثناء ضرورة عبور هذه الفجوة ، وبلوغ موضع ابنته ، مهما كان الثمن ..

واقتربت الفجوة الخضراء اللامعة ..

اقتربت أكثر وأكثر ..

وبدت أكثر تألقًا ولمعانًا ..

ثم بلغها (نور) ، ومركبته تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وعبرها ..

ولم يكن العبور أمرًا هينًا أو بسيطًا ..

لقد شعر كما لو أن مركبته قد ارتطمت بجدار إسفنجى ضخم ، هبط بسرعتها بغتة إلى ما يقرب من الصفر ، قبل أن ترتجّ فى عنف ، ثم يتوقّف محرّكها بغتة ، و ...

وتهوى ..

حتى لفظ (تهوى) هذا ، كان من العسير قوله ، فلم تكن هناك نقاط محدودة ، لتحديد الاتجاهات ..

لم يكن هناك فوق ، أو تحت ..

أو يمين ، أو يسار ..

هناك فقط فراغ هائل رهيب ، يمتدّ إلى ما لا نهاية ..

أو هو العدم ..

نعم .. كان أفضل ما يوصف به هذا المكان ، هو العدم ..

أرض العدم ..

وفجأة ارتجّ جسد (نور) فى عنف ، وتناهى إلى مسامعه صوت ارتطام شديد ، ثم تحوّل ذلك العدم حوله إلى ظلام دامس ..

ثم إلى ليل ..

ليل بلا حدود ..

* * *

٤ ـ فى قلب العدم ..

مضت لحظات ، بعد اختفاء (نور) ومركبته ، داخل الفجوة الخضراء اللامعة ، و (رالف) يحدّق فى السماء في ذهول ، وعقليته العلمية تبحث عن تفسير منطقى لهذه الظاهرة الخارقة ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، والتفت إلى الأطلال فى شراسة ، قائلا :

ـ لا بأس أيها الحقير .. لقد نجحت فى لعبتك ، وخسرت أنا مركبتى الطائرة ، ولكنك ستخسر حياتك بالمقابل .

عاد إلى الأطلال حاملا مدفعه الليزرى ، وتلفّت حوله ، قبل أن يلجها فى حذر ، وضغط زرًا فى حزامه ، فارتسمت أمامه شاشة حمراء باهتة ، بدا فى طرفها الأيمن ظل داكن ، يتحرّك فى بطء ، فالتفت إليه (رالف) ، وقال فى شماتة :

ـ لقد كشف جهاز الفحص الحرارى مخبأك أيها الحقير .

اتجه إلى حيث الظلّ الحرارى فى حزم ، ولكنه فوجئ بالظل يختفى فجأة ، وسط سحابة حمراء داكنة ، فهتف فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

ترددت ضحكة (أكرم) الساخرة فى المكان ، وهو يقول :

ـ أعلم أنك تستخدم جهاز فحص حرارى أيها الوغد .. لقد سمعتك تهمس بهذا ، ووجدت الحل أبسط مما تتصوّر .. لقد

اشعلت بعض الأغصان الجافة بأشعة مسدسى الليزرى ، وستفسد حرارة النيران عمل جهازك .

شعر (رالف) بالغيظ ، ولكنه ضغط زرًا آخر فى حزامه ، فاختفت الشاشة الحمراء من أمامه ، وارتفع هوائى صغير من الخوذة الشفافة ، وهو يهتف فى حدة :

ـ لا بأس أيها الحقير .. سأحاربك بسلاح آخر .. حاول ألا تلتقط أنفاسك الآن ، وألا تخطو خطوة واحدة ، فباستخدام لاقطات الصوت الفائقة الدقة والحساسية ، فى خوذتى ، سألتقط أدنى صوت يصدر منك ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما أطلق (أكرم) صيحة هائلة ، تردّد صداها ، فى المكان فى قوة ، وضاعفت لاقطات الصوت من شدتها ، فبدت أشبه بانفجار قنبلة فى أذنى (رالف) ، الذى صرخ ، وهو يلغى عمل لواقط الصوت الفائقة الحساسية :

ـ اللعنة !

انطلقت ضحكة (أكرم) الساخرة فى المكان ، ممتزجة بوقع أقدامه ، وهو يعدو بين الحصا والحجارة ، قبل أن يرتفع صوته من خلف (رالف) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ خسرت اللعبة يا رجل .

التفت (رالف) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وارتفع مدفعه الليزرى فى وجه (أكرم) ، الذى هتف :

- أنت أردت هذا أيها الوغد .

تألق المكان بأشعة الليزر ، و (أكرم) يطلق مسدسه نحو (رالف) مرة .. ومرة .. ومرة ..

ثم تجمدت سبابته على زناد مسدسه الليزرى ..

لقد أصابت الأشعة صدر (رالف) فى المرات الثلاث ..

ولكنها لم تحركه قيد أنملة ..

لقد ارتطمت كلها بصدره ، ثم انحرفت وتلاشت ، وتشتتت فى الهواء ، دون أن تخترق حلته الفضية اللامعة ..

وأطلق (رالف) ضحكة ساخرة ، شامتة ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تجهل طبيعة هذا الزى الذى أرتديه .. إنه زى فضائى خاص يا عزيزى .. كانوا يحتفظون به فى سجن القمر ، ليستخدمه الحراس فى مطاردة أى مجرم ، ينجح فى الفرار ، من قبة السجن إلى سطحه الخارجى ، وهو مصنوع من مادة خاصة ، تم اختراعها فى أواخر القرن العشرين ، ويمكنها مقاومة طلقات الرصاص ، وأشعة الليزر ، والأشعة الارتجاجية ، وعشرات الوسائل الأخرى .. لقد خسرت اللعبة يارجل .. خسرتها بحق .

ثم صوب مدفعه إلى صدر (أكرم) ، مستطردًا :

- وستدفع ثمن الخسارة .

وانطلقت صرخة قوية ، داخل المكان ..

* * *

ظلت (سلوى) تحدق فى شاشة الراصد لحظات ، بعد اختفاء (نور) داخل الفجوة الخضراء اللامعة ، ثم قالت بصوت مرتجف :

- هل .. هل نجح ؟

أجابها الدكتور (حجازى) :

- لقد نجح فى عبور الفجوة على الأقل .

سألته (مشيرة) :

- وماذا عن العودة ؟

لم يجب الدكتور (حجازى) ، وإنما اكتفى بالتطلع إليها فى صمت ، فى حين أجابها(رمزى) :

- هذا الأمر فى علم الله (سبحانه وتعالى) وحده .

اعتدل الدكتور (رشاد) ، قائلًا فى حزم :

- فلنترك الأمر له (سبحانه) إذن ، ولنقم نحن بعملنا .

رددت (مشيرة) فى تساؤل :

- عملنا .

أشار الدكتور (رشاد) إلى (محمود) ، وقال :

- أقصد عملنا أنا و(محمود) ، فلقد أجريت بعض الاختبارات مع (رالف) ، فى تلك القلعة فى الإسكندرية .. صحيح أنه كان وحشى النزعة ، ولكن اختباراته منحتنى قدرًا كبيرًا من المعلومات ، الخاصة بوسائل إعادة العقول والحضارة

الى البشر ، ومن الضرورى أن أتعاون مع (محمود) و (سلوى) ، لبرمجة ما لدى من معلومات ، وإضافة ما لديكم إليها ، ثم البحث عن الوسيلة المنشودة ، وعن كيفية تحقيقها .

التفتت إليه (سلوى) ، قائلة :

ـ أتظننى أستطيع العمل ، وأنا أفكر فى زوجى وابنتى ، ومصيرهما ؟

أجابها فى حزم :

ـ نعم .. أظنك تستطيعين هذا ، لو وضعت فى رأسك أن مصير ابنتك وزوجك يتعلق أيضا بمصير الأرض وشعبها ، فحتى لو نجحا فى العودة من ذلك البُعد الآخر ، لن يسعدهما أن يعيشا فى عالم همجى كهذا ، ولا أمل لهما فى حياة كريمة ، وعيش متحضر ، إلا لو استعادت الأرض حضارتها واستعاد البشر عقولهم ، ونحن لا ندرى ما ينتظرنا فى الخارج ، ولا كم نملك من الوقت ، لتحويل أفكارنا هذه إلى حقائق ، لذا فمن المحتم أن نبدأ عملنا على الفور ، دون أن نضيع لحظة واحدة .

تطلعت إلى الشاشة لحظات فى لوعة ، فأضاف الدكتور (حجازى) :

ـ أظنه على حق يا (سلوى) .

أومأت برأسها إيجابا ، وهى تقول :

ـ نعم .. إنه على حق .

وتنهدت فى عمق ، ثم التفتت إلى الدكتور (رشاد) ، قائلة :

ـ هيا يا سيدى .. أنا رهن إشارتك .. من أجل الأرض .

سألت (مشيرة) فجأة :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟.. إنه فى الخارج ، مع ذلك المجرم (رالف) .

ربت (رمزى) على كتفها ، وقال :

ـ لا تخشى شيئا على (أكرم) .. إنه يعرف كيف يرعى نفسه .

قالها بلسانه ، وإن شعر قلبه بالعكس تماما ، فقد كان يدرك جيدا قوة (رالف) وإمكانياته الفائقة المتطوِّرة ، التى أحضرها معه من سجن القمر ، وكان فى الواقع يشعر نحو (أكرم) بالخوف ..

الخوف الشديد ..

وكان يتمنى ، كما لم يتمن من قبل ، أن يعود (س ـ ١٨) كما كان فى السابق ..

ولكن أين هو (س ـ ١٨) الآن ؟

أين ؟..

* * *

أخيرا بلغ (س ـ ١٨) هدفه ..

الشمس ..

منذ ذلك الاضطراب ، الذى أصاب آلاته ، وتفكيره الإليكترونى ، وقدرته على تمييز الأصدقاء والأعداء ، وهو يدرس موقفه ..

ولقد توصّل إلى مصدر الخلل فى أعماقه .

إنه ذلك القرص الشيطانى ، الذى يحتفظ به (نور) داخله(*) ..

القرص الذى يحوى داخله كل طاقة الشر ، التى يتميّز بها (ابن الشيطان) ، ذلك العدو نصف البشرى ، ونصف الشيطانى ، الذى قاتله الفريق أكثر من مرة ، قتالاً رهيبًا ، يشيب لهوله الولدان(**) ..

ولم يكد (س ـ ١٨) يتوصّل إلى هذه الحقيقة ، حتّى راح يسترجع كل المعلومات ، المختزنة فى ذاكرته الإليكترونية ، حول ذلك القرص ، ووسائل القضاء عليه ..

إنها النار ..

النار وحدها تلتهم طاقة الشر داخل ذلك القرص ، وتوقف مفعولها ..

وهكذا اختار (س ـ ١٨) هدفه ..

الشمس ..

أضخم كتلة من النيران ، على مقربة من الأرض ..

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

وعندما اقترب (س ـ ١٨) من الشمس ، ورصدت أجهزته الدقيقة داخلها حرارتها الرهيبة ، انطلق من حوله غلاف واق قوى ، وانخفضت درجة حرارة جسمه الخارجية إلى ألف درجة تحت الصفر ، على نحو تعجز عنه أية علوم ، باستثناء علوم تلك الحضارة ، التى صنعته ..

وبسرعته التى تكاد تقترب من سرعة الضوء ، غاص (س ـ ١٨) فى قلب الهدف ..

فى قلب الشمس ..

والحرارة من حوله ترتفع ..

وترتفع .. وترتفع ..

ثم بدأت الحرارة تنخفض ، وهو يقترب من قلب الشمس ، و ...

وفجأة تضاعفت تلك الطاقة السلبية الشريرة فى أعماقه ..

تضاعفت على نحو رهيب ، وكأنما ألهبت النيران المحيطة به خوفها ..

وفجأة أيضًا راحت حرارة الجسد الخارجى لـ(س ـ ١٨) ترتفع ..

وبسرعة ..

وأدركت أجهزة (س ـ ١٨) ما يحدث ..

وأدركت نتائجه على الفور ..

عندما ترتفع درجة حرارة الجسد الخارجى ، حتّى تبلغ مائتى

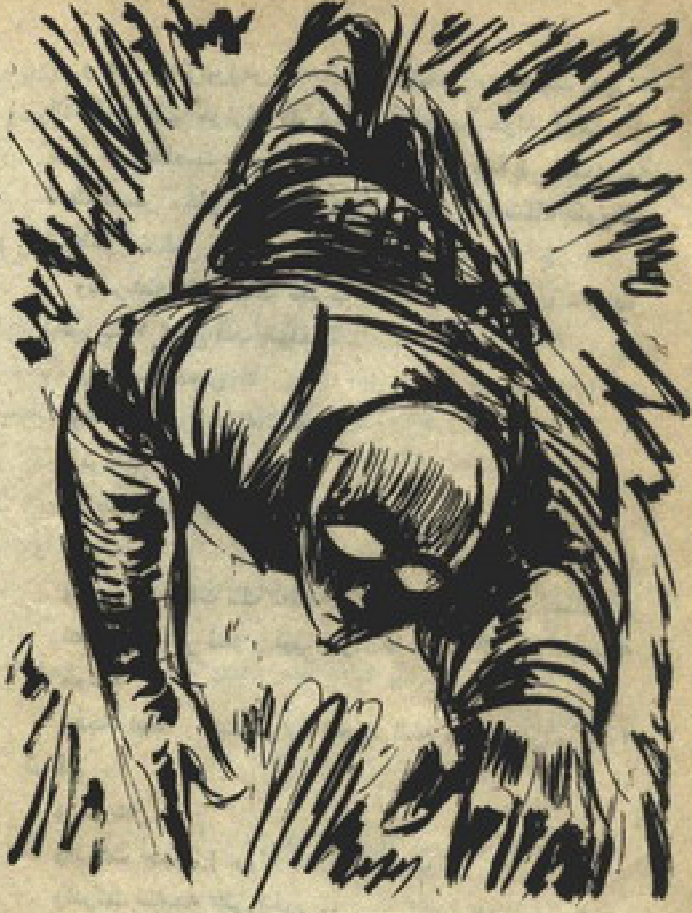

وبسرعته التي تكاد تقترب من سرعة الضوء ، غاص (س ـ ١٨) فى قلب الهدف ..

درجة تحت الصفر فحسب ، لن يحتمل الغلاف الواقى هذه الحرارة المرتفعة ، وسينهار ، و ...

ويذوب جسد (س ـ ١٨) ..

يذوب فى قلب الشمس ..

* * *

لم تستغرق غيبوبة (نور) أكثر من دقائق معدودة ، استعاد عقله بعدها وعيه ، وفتح عينيه فى بطء ، ليحدق فيما حوله فى دهشة بالغة ..

كان جسده يسبح فى فراغ هائل ..

فراغ لا نهائى ..

ولأول مرة فى حياته ، أدرك ما تعنيه كلمة فراغ ..

إنها شىء بلا شىء ..

لا أجسام ، أو حدود ، أو أبعاد ..

لا مقاييس ، أو اتجاهات ، أو حتى مجال للرؤية ..

إنها العدم ..

شىء لا يمكن وصفه ، أو حتى تخيله ..

وعلى مقربة من (نور) ، رأى مركبة (رالف) محطمة ، كما لو كانت قد ارتطمت بشىء مادى ملموس ، على الرغم من أنه لا يشعر بهذا الشىء أو يراه ..

وحاول (نور) أن يقف ..

لم يكد يحاول ، حتى وجد نفسه يقف معتدلا ..

أو هكذا شعر ..

كان يقف فوق شىء ما ، لا يراه ، ولكنه يجعله يشعر بالاعتدال ، ويمنحه القدرة على السير ، حول المركبة المحطمة ..

وفى أعلى ، كانت الدائرة الخضراء اللامعة تتألق وسط الفراغ ..

ومنها تبدو سماء زرقاء ..

إنها سماء الأرض ..

سماء العالم الذى ينتمى إليه ..

وفى حذر ، سار (نور) نحو مركبة (رالف) المحطمة ، وراح يفحصها فى اهتمام ..

لم تكن قد فقدت تماما قدرتها على التحليق والانطلاق ، ولكن محركها أصيب بشىء من التلف ، ويحتاج إلى قطعة غيار أو قطعتين ، لن يمكنه الحصول عليهما ، في هذا العدم ..

وهذا يعنى أن رحلة العودة لم تعد ممكنة ..

فى الوقت الحالى على الأقل ..

ولكنه لن يقلق نفسه بأمر رحلة العودة ، قبل أن يحقق الهدف ، الذى أتى من أجله ..

وفى قلق ، راح يتلفت حوله ، بحثا عن ابنته ..

ولم يكن هناك أدنى أثر لـ(نشوى) ..

أو لأى شىء آخر ..

وبدأ (نور) يشعر بالتوتر ..

أين يمكنه أن يبحث عن ابنته ؟ ..

بل أين يمكن أن يتجه ؟..

كل شىء يبدو له متساويا ، متشابها ..

فراغ فى فراغ ..

ولكن ابنته كانت هنا ، فقد أخبرت رفاقه أنها ترى الفجوة اللامعة فوق رأسها ، وها هو ذا يراها فوق رأسه ..

أين ذهبت إذن ؟..

تضاعف قلقه وتوتره ، وهو يشعر بالحيرة والضياع ، وسط ذلك الفراغ اللانهائى ، الذى لا يقود إلى أى شىء محدود ..

وكعادته ، كلما واجهه أمر غامض ، جلس (نور) يفكر ، ويسترجع كل ما لديه ، بحثا عن حل لمأزقه ..

وكان فى هذا يتشابه كثيرا مع (س ـ ١٨) ، مع فارق جوهرى ..

إنه بشرى ..

وفى عمق ، راح يسترجع ويدرس ويفكر ..

لقد قضت ابنته فترة طويلة ، فى هذا الفراغ ، ثم بدأت اتصالاتها مع أمها ، ومع باقى أفراد الفريق ، وبدأت تلك

الاتصالات تتطور ، حتى بلغت حدًا قويًا ، مع حدوث تلك الفجوة اللامعة ..

وهنا ظهرت تلك المخلوقات الشبيهة بالبشر ، واختطفت (نشوى) ..

فلماذا ظهرت فى هذا الوقت بالذات ؟ ..

ما الذى دفعها إلى الظهور ؟..

كان عليه أن يفكر فى عمق ، فى هذه النقطة بالذات ..

وأن يتوصل إلى الحل ..

قبل مغيب شمس الأرض ..

فإما أن ينجح ، ويجد الوسيلة لبلوغ موضع ابنته ، واستعادتها ..

أو يفشل ..

ويخسر ..

يخسر ابنته ..

ابنته الوحيدة ..

* * *

٥ ـ الواجب ..

ارتجت الأطلال بتلك الصرخة الرهيبة ، التى انطلقت من خلف (رالف) ، الذى ارتجف جسده فى قوة ، ثم التفت يواجه ثلاثة من الهمج ، انقضوا عليه فى وحشية ، وقد جذبتهم حلته الفضية اللامعة ، وخوذته الشفافة ..

ولأول مرة فى حياته ، يشعر (أكرم) بالسعادة ، لرؤية هؤلاء الهمج ، فلولا ظهورهم المفاجئ هذا ، لكانت حزم الأشعة ، المنطلقة من مدفع (رالف) ، قد حولته إلى مصفاة ، فى أقل من نصف الدقيقة ..

وفى وحشية مماثلة ، راح (رالف) يطلق أشعة مدفعه على الهمج ، صارخًا :

ـ ابتعدوا أيها الجرذان الآدمية .. ابتعدوا .

نسفت أشعته رأس همجى ، واخترقت صدر ثان ، فى حين هوى الثالث على الخوذة الشفافة بهراوته ، بأقصى ما يملك من قوة ..

ثم أطلق صرخة ألم هائلة ..

لقد ارتطمت هراوته بالخوذة فى عنف ، ثم ارتدت فى شدة ، وضربت رأسه هو ، فى حين تراجع (رالف) هاتفًا فى سخط :

- أيها الحيوان ..

ثم أطلق حزمتين من الأشعة على جسد الهمجى ، اخترقتا صدره ورأسه فى عنف ، ومزقتاه إربًا ..

والتفت (رالف) يواجه (أكرم) مرة ثانية ..

ولكن (أكرم) لم يكن هناك ..

لقد اختفى تمامًا ..

وبكل السخط فى أعماقه ، صاح (رالف) :

- اللعنة .

واندفع يغادر الأطلال فى غضب ، ثم ضغط زر تشغيل جهاز الفحص الحرارى مرة أخرى ، ورأى ظل (أكرم) الداكن ، وهو يعدو مبتعدًا ، عائدًا إلى المقر السرى ، فقال فى مقت :

- لن تفلت .. لن يفلت أحد منكم .

اتجه فى صرامة إلى المقر السرى ، ورأى على شاشته (أكرم) يعبر مدخل الممر ، ثم يغلقه خلفه ، فردد فى كراهية هائلة :

- لن يفلت أحدكم قط .

وواصل تقدمه نحو المقر السرى ، وقد اتخذ قراره بسحق الجميع ..

وبلا رأفة ..

* * *

، أخيرًا أمكننا تحديد كم الطاقة اللازمة .. ،

نطقها (محمود) فى شىء من الارتياح ، وهو يقرأ الأرقام التى دوّنتها شاشة الكمبيوتر ، ثم استطرد فى حزم :

- أرأيت كيف تطوّرت الأمور كثيرًا ، مع تعاوننا يا سيدى .. لقد قضيت ثلاثة شهور أدرس هذه الأمور ، دون أن أتوصّل إلى نتيجة مرضية ، ثم وصلت أنت ، وأعطيتنى بعض النتائج ، فتوصّلت فى نصف الساعة فقط إلى المعادلات المطلوبة .

أومأ الدكتور (رشاد) برأسه موافقًا ، وقال :

- من سخرية القدر أن الجزء الأكبر من الفضل ، يعود إلى (رالف هيتريش) ، الذى درس تأثير الأشعة على المخ البشرى .

غمغمت (سلوى) فى شرود :

- لست أظنه يسعد بسماع هذا .

ثم التفتت إلى (أكرم) ، مستطردة :

- أليس كذلك ؟

كان يجلس أمام شاشات الرصد ، يراقب ما يفعله (رالف) خارج المقرّ السرى فى قلق ، فأجابها :

- بلى .. هذا الرجل شيطان حقيقى ، وذلك الزى الذى يرتديه ، يجعله أشبه بـ(سوبرمان) ، بالنسبة إلينا ، وهو يفعل شيئًا ما ، حول المقر السرى ، ولست فى حاجة إلى الكثير من الذكاء ، لأدرك أن هذا الذى يفعله ، يستهدف تحطيمنا حتمًا .

سأله الدكتور (حجازى) فى قلق :

- وماذا يمكننا أن نفعل إزاء هذا ؟

قال (رمزى) فى حزم :

- نقاوم .

قالت (مشيرة) فى صوت مرتجف :

- نقاوم من ؟.. هذا الـ(سوبرمان) ؟

أجابها فى حزم :

- هذا أفضل من البقاء هنا ، وانتظار مصيرنا فى استسلام .

نهض (أكرم) ، قائلا :

- إننى أميل إلى هذا الرأى .

وحمل مسدسه ، مستطردا :

- وأفضل الموت وأنا أقاتل .

استوقفه الدكتور (حجازى) ، قائلا :

- مهلا ياولدى .. ليس من الشجاعة أن تلقى نفسك أمام شخص كهذا ، دون أن تملك الوسائل اللازمة للتصدى له .. هذا أشبه بالانتحار .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن الجلوس هنا ، فى انتظار الموت ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لست أقصد هذا أو ذاك ، وإنما قصدت أنه من الضرورى أن نواجهه بخطة مدروسة ، وليس بقتال عشوائى .

قال (رمزى) :

- أنت على حق فى هذا .. ولكن المهم هو أن نضع الخطة ، ونشرع فى تنفيذها بسرعة ، قبل ..

قاطعه صوت (سلوى) ، وهى تقول بصوت مرتجف :

- قبل مغيب الشمس .

وكانت تتطلّع إلى شاشة واحدة من شاشات الرصد ..

الشاشة التى تنقل صورة الفجوة ..

الفجوة الخضراء اللامعة ..

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته الذرية ، وتزايد شعوره بالقلق والتوتر ..

إنه يجلس هنا ، وسط العدم ، منذ ساعة كاملة ، عاجزا عن التوصل إلى وسيلة مناسبة ، للعثور على ابنته ..

وفى مرارة ، غمغم :

- رباه !! .. هل خاطرت وغامرت بحياتى ، حتى أقف هذا الموقف العاجز اليائس ؟!.. هل فعلت كل ما فعلت ، لأصل فقط إلى أرض العدم هذه ؟.. لا .. لو تكرّر الموقف نفسه ألف مرة ، وعلمت فى كل مرة أن رحلتى إلى هنا ستنتهى بمصرعى ، وبضياعى مع ابنتى فى أرض العدم ، لما ترددت لحظة واحدة

فى عبور الفجوة إلى هنا .. إنه واجبى .. واجبى نحو ابنتى ، ونحو ..

بتر عبارته فجأة ، وتألقت عيناه بذلك البريق الأخاذ ، الذى يشف عن توصله إلى سر الغموض المحيط به ، وهتف فى حماس :

ـ الواجب .. نعم .. إنه الواجب .

وهبّ واقفًا فى حماس ، واندفع نحو مركبة (رالف) ، ثم ضغط زر إطلاق مدفعها الليزرى ، وهو يقول :

ـ الواجب هو الذى أتى بهم إلى هنا .

راح يُطلق أشعة مدفع الليزر عدة مرات متتالية ، وهو يهتف :

ـ ها هى ذى منطقة العدم تتعرّض للخطر .. هيا .. اظهروا .

لاح له جزء من العدم ، وهو يتحوّل إلى لون داكن ، فتضاعف حماسه ، وواصل إطلاق مدفع الليزر ، صائحًا :

ـ هيا .. اظهروا هنا .. هيا ..

انفتحت أمامه فجوة أخرى ، فى ذلك الفراغ اللانهائى ، ورأى شخصين يعبرانها إلى العدم ..

شخصين لهما هيئة البشر ..

ولكنهما ليسا من البشر ..

أو أنهما بشريان ، يرتديان زيًا معدنيًا عجيبًا ، يخفى كل جزء من جسديهما ..

واعتدل (نور) ، وهو يتطلّع إليهما فى انفعال ، وقد توقف عن إطلاق مدفع الليزر ..

وفى حزم ، اتجه إليه الشخصان ، ورفع أحدهما كرة معدنية فى وجهه ، وهو يقول :

ـ أنت تفسد منطقة الصفر .. إننا نلقى القبض عليك .

فهم (نور) كل كلمة نطق بها ذلك الشخص ، على الرغم من أنه لم ينطقها بالعربية ..

حتمًا لم يفعل ..

ولكن (نور) فهم كل حرف ..

لم يدر كيف حدث هذا ، فقال فى دهشة :

ـ بأية لغة تتحدث ؟

لم يجب الشخص سؤاله ، وهو يقول :

ـ إننا نلقى القبض عليك .

أدرك (نور) أنه ما من فائدة ، من الحديث مع هذا الشخص ..

أو هذا الشىء ..

وفى هدوء ، سار (نور) أمام الشخص المعدنى ، نحو الفجوة الجديدة ، فى حين صوّب الشخص الآخر سلاحًا عجيبًا

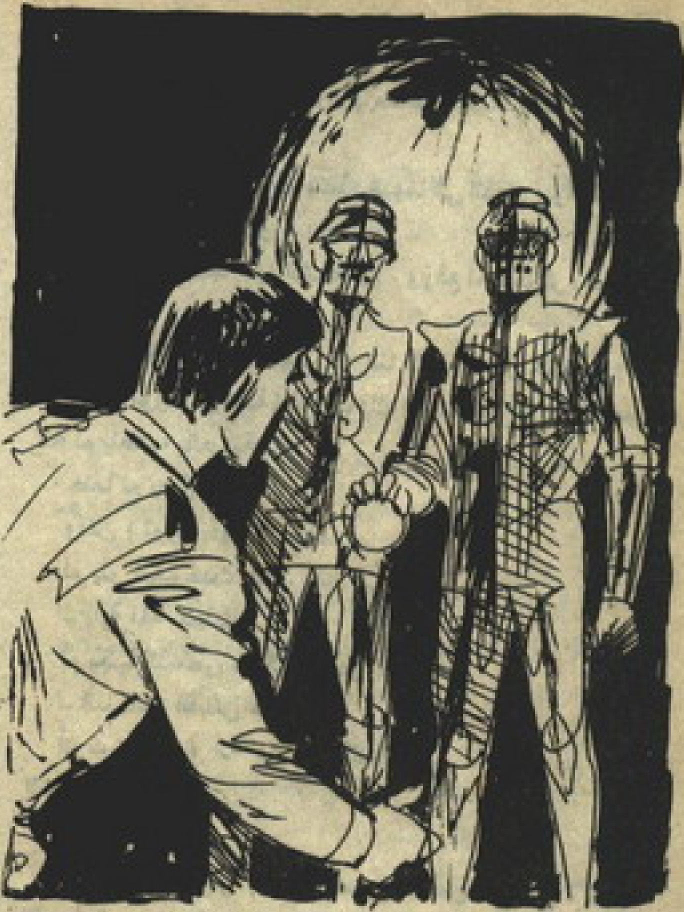

وفى هدوء ، سار (نور) أمام الشخص المعدنى ، نحو الفجوة الجديدة ،
فى حين صوّب الشخص الآخر سلاحًا عجيبًا ..

نحو مركبة (رالف) ، فارتفعت وسط الفراغ ، وتبعتهم نحو الفجوة ..

وعندما عبر (نور) الفجوة ، وجد نفسه فجأة فى قاعة واسعة فسيحة ، تحتشد بعدد كبير من الآليات الشبيهة بآليات الأرض ..

شاشات كمبيوتر ..

لوحات أزرار ..

أجهزة حديثة ..

أما تلك الفجوة التى عبرها إلى القاعة ، فقد بدت له من داخلها أشبه بشاشة ضخمة ، من شاشات العرض السينمائى القديمة ، لا تحوى أية صور أو رسوم ..

مجرّد شاشة بيضاء ضخمة ، تطلّع إليها (نور) فى حيرة ، وإلى لوحة الأزرار الملحقة بها ..

لم تكن اللوحة تحمل أرقامًا أو حروفًا عربية ، بل مجرّد رموز ورسوم ، تبدو أشبه بحروف اللغة الصينية ، وإن اختلفت عنها بعض الشىء ..

وفى اهتمام بالغ ، راقب (نور) ذلك الشخص المعدنى ، وهو يضغط بعض الأزرار ، فى تتابع مدروس ، ورأى الشخص الآخر يحمل المركبة إلى منتصف القاعة ، ثم يضعها فى رفق ، قبل أن يتجه إليها عدد آخر من الأشخاص المعدنيين ، فيبدءون فى فحصها وإصلاحها فى سرعة ودقة ، جعلا (نور) يقول :

- آه .. إنهم أشخاص آليون .

أتاه صوت من فتحة جانبية ، يقول :

- هذا صحيح .

التفت (نور) إلى مصدر الصوت ، ثم تراجع فى حركة حادة ..

كان هناك شخص يخرج من باب جانبى ، ويتجه إليه ..

شخص يشبه البشر تماما ، بكل تكوينه وملامحه ، فيما عدا لون بشرته البرتقالى الداكن ، الذى يشبه لون قشرة برتقالة طازجة ..

وفى هدوء ابتسم ذلك الشخص ، وقال :

- لقد أدهشك لون بشرتنا .. أليس كذلك ؟

اعتدل (نور) ، وهو يقول :

- الواقع أننى رأيت الكثير من العجائب ، حتى لم يعد من السهل أن يثير شىء ما دهشتى بالفعل ، ولكنها المفاجأة .

ابتسم الرجل أكثر ، وقال :

- هذا صحيح .. نحن أيضا أدهشتنا ألوان بشرات سكان الأبعاد الأخرى فى البداية ، ثم اعتدنا هذا .

قال (نور) فى دهشة :

- سكان الأبعاد الأخرى ؟!

ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن الرجل لا يتحدث العربية ، وعلى

الرغم من هذا فهو يفهم كل حرف من حروف كلماته ، فتابع بدهشة أكثر :

- أخبرنى .. بأية لغة تتحدث ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وقال :

- إنها ليست لغة معروفة لك بالتأكيد ، ولكنك ستفهمها حتمًا .. كل سكان الأبعاد ، الذين نتصل بهم يمكنهم فهمها .

سأله (نور) فى حيرة :

- ماذا تعنى بأننى لا أعرف لغتك ، ولكننى أفهمها ؟

عاد الرجل يبتسم ، قائلًا :

- هنا تكمن المشكلة ، فالأمر يحتاج إلى شرح علمى شديد التعقيد ، لست أدرى ما إذا كانت عقليتك ستستوعبه أم لا .

شعر (نور) بشىء من المهانة فى العبارة ، فقال فى صرامة :

- يمكنك أن تحاول معى .

تطلّع إليه الرجل لحظة فى صمت ، وقال :

- تعرّفك الأشخاص الآليين يشير إلى تمتعك بذكاء فطرى ، وبمعرفة علمية لا بأس بها ، ولكن ..

بتر عبارته فجأة ، ثم سأل (نور) :

- قل لى أوّلا : لماذا أطلقت مدفع الليزر بهذه الغزارة ، فى منطقة الصفر ؟

أجابه (نور) :

- حتى يحضر رجالك لالتقاطى .

رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وقال :

- هكذا ؟!

أكمل (نور) :

- لقد سألت نفسى : لماذا اختطفتم ابنتى ، عندما تم الاتصال بينها وبين رفاقى ، على الرغم من أنكم تركتموها طويلًا قبل هذا ؟.. وانتبهت إلى أن الاتصال نفسه ، قد يكون الدافع إلى هذا ، فعندما وصفت ابنتى (نشوى) ما حدث ، كان وصفها يوحى بأن مختطفيها يمكنهم الدخول والخروج من تلك المنطقة ، التى تطلقون عليها اسم منطقة الصفر ، بكامل إرادتهم ، وبأسلوب علمى خاص ، مما يوحى بأن المنطقة تحت سيطرتهم ، على نحو أو آخر .. وفى كل النظم المعروفة فى العالم ، فى عالمى ، والعوالم الأخرى التى زرتها ، لابد لمن يسيطر على منطقة ما أن يضع فيها نظامًا للحراسة ، أو شرطة منطقة ، وواجب هذه الشرطة أو الحراسة ، هو حماية المنطقة ورعايتها ، فاستنتجت أن مختطفى ابنتى هم حرّاس المنطقة ، وأن إطلاقى مدفع الليزر على هذا النحو ، سيعنى تعرّض المنطقة للخطر ، وسيدفعهم لتأدية واجبهم ، وإلقاء القبض علىّ .. وكان استنتاجى سليمًا .

هتف الرجل :

- بل عبقريًا .. عبقريًا وعلميًا تمامًا .

ثم هز رأسه فى إعجاب ، قبل أن يضيف :

- ستفهم إذن لغتنا .. ستفهم أسلوبها حتمًا .

تراجع خطوة واحدة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، واتجه نحو إحدى شاشات الكمبيوتر ، فألقى نظرة سريعة على الرموز المرتسمة على شاشته ، ثم التفت إلى (نور) ، متابعًا :

- منذ زمن طويل ، وبعد أن توصّل علماؤنا إلى منطقة الصفر ، التى يمكنها أن تحملنا إلى الأبعاد السبعة للكون ، كان من الضرورى أن نجد لغة أخرى للتخاطب ، تساعد على حدوث الاتصال الفكرى والثقافى ، بين الأبعاد بعضها ببعض ، ومع الدراسات المكثفة ، التى جرت فى هذا المجال ، توصّل أحد العلماء إلى أن حروف لغات الكون كلها ، ذات دلالات خاصة ، فلو نطقت كلمة (حب) مثلًا ، ستجد أن الانطباع الذى تعطيه الكلمة ، فى آذان الجميع واحد ، مهما اختلفت لغتها .. وبمعنى أدق ، وجدنا أن للحروف دلالاتها ، ومعناها الذى تتركه فى العقول والآذان ، وهنا استنبطنا لغة جديدة ، لحروفها رنين خاص ، يفهمه كل شخص بلغته ، مهما اختلفت اللغات والألسن .

غمغم (نور) :

- لا يمكننى استيعاب هذا .

تنهّد الرجل ، وقال :

- ألم أقل لك ؟

ثم تابع فى هدوء :

ـ فلنكتف إذن بأن حروف لغتنا مدروسة بدقة ، وعلى نحو تعجز عقولكم عن استيعابه ، ولكنها تترك فى الآذان انطباعًا خاصًا ، يجعل كل شخص يفهمها فى يسر وسهولة ، حتى ولو لم يكن قد سمعها من قبل أبدًا .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ وقد لا يمكننى استيعاب القاعدة العلمية أو اللغوية ، التى تتحدث عنها ، ولكن من المؤكد أنها سليمة ، ما دمت أفهم حديثك ، ولكن كيف تفهم أنت حديثى ؟

أجاب الرجل :

ـ إننى أستوعبه بالوسيلة نفسها .

لوّح (نور) بكفه ، قائلًا :

ـ فليكن .. لن يمكننى استيعاب الأمر فى بساطة ، ولا وقت لدى فى الواقع لهذا ، فقد أتيت لاستعادة ابنتى فحسب ، و ...

قاطعه الرجل :

ـ لن يكون ذلك سهلًا .

توقّف (نور) ، وهو يرمقه بنظرة متوترة ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى بأن ذلك لن يكون سهلًا ؟

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

ـ أتعشم أن تكون بالذكاء الكافى لاستيعاب هذا أيضًا ، ولكننا لا نستطيع إعادة ابنتك إليك ، إلا بعد ثلاثة أيام على الأقل .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا مستحيل ، فمن المحتم أن أعود بابنتى قبل مغيب شمسنا ، وإلا فقدنا وسيلة الاتصال بين عالمينا .

سأله الرجل فى اهتمام بالغ .

ـ وهل توجد وسيلة اتصال بين عالمينا ؟

قال (نور) فى حدة .

ـ كيف تظننى وصلت إلى هنا إذن ؟

سأله فى اهتمام أكثر :

ـ هذا ما أردت سؤالك عنه .

قال (نور) فى عصبية :

ـ لقد جئت عبر تلك الدائرة الخضراء اللامعة ، التى تنكمش فى سرعة ، والتى ستتلاشى تمامًا ، مع مغيب الشمس .

ردّد الرجل فى لهجة تشف عن اهتمامه الشديد بالأمر :

ـ الدائرة الخضراء اللامعة ؟!.. عظيم .. لقد وفرت علينا سنوات من البحث والدراسة .. الآن فقط يمكننا بلوغ بعدكم ، وإخضاعه لسيطرتنا .

هتف (نور) فى دهشة واستنكار :

ـ إخضاعه .

اعتدل الرجل فى حزم ، وهو يقول :

ـ نعم .. إخضاعه لبعدنا ، الذى يتزعم الآن الأبعاد الستة الأخرى ، والذى يبحث منذ زمن عن مفتاح بلوغ بعدكم .

صاح (نور) فى غضب :

ـ غزو آخر .. لا يا رجل .. لن أسمح لكم بغزو عالمى مرة أخرى .

ابتسم الرجل البرتقالى البشرة ، على نحو أشبه بالسخرية ، وهو يقول :

ـ تسمح لنا ؟!.. يبدو أنك لا تدرك حقيقة موقفك هنا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أعلم جيدًا أنكم تحتفظون بابنتى ، ولكنك لا تفهم حقيقة الأمر أيها البرتقالى .. قد أخاطر بحياتى من أجل ابنتى ، ولكننى مستعد فى الوقت نفسه ، للتضحية بابنتى نفسها ، فى سبيل عالمى .

تألقت عينا الرجل ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أنت عينة تصلح للاختبار أيضًا .

ثم أشار إلى الآليين ، هاتفًا فى لهجة آمرة :

ـ خذوه إلى حجرة الفحص .

فوجئ (نور) بالآليين الخمسة يحيطون به ، وأحدهم يصوِّب إليه تلك الكرة اللامعة ، وهو يقول بصوته المعدنى :

ـ إننا نلقى القبض عليك .

وتوتر الموقف أكثر ..

* * *

٦ ـ فى سبيل الحرية ..

انهمك (رالف) فى غرس قنبلته الإليكترونية السادسة ، فى المكان الذى حدده لها تمامًا ، وابتسم لنفسه فى زهو ، وهو يقول :

ـ سأنسفهم نسفًا تسع قنابل إليكترونية موزعة بمنتهى الدقة ، حول المقر السرى لهؤلاء الأبطال الزائفين ، تكفى لإحالة المكان كله إلى غبار ، فى غمضة عين .

أتاه صوت من خلفه يقول فى برود :

ـ هذا لو وجدت الوقت الكافى ، لغرس القنابل الثلاث الباقية .

التفت (رالف) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورفع فوهة مدفعة الليزرى فى وجه (رمزى) فى شراسة ، ولكن (رمزى) رفع يده أمامه ، قائلًا فى سرعة :

ـ مهلًا يا رجل .. أنا هنا لمعاونتك .. إننى أعزل من السلاح كما ترى .

قال (رالف) فى خشونة :

ـ معاونتى ؟!.. إنك واحد منهم .. لقد التقينا فى القلعة .

أجابه (رمزى) ، وهو يشير إلى المقر السرى :

- بالطبع .. إننى واحد منهم ، ولكننى أعلم أنك الأقوى ، ولقد اخترت الانضمام إليك .

قال (رالف) فى سخرية غليظة :

- أتظنك قادرًا على خداعى ، بهذا الأسلوب الساذج ؟

هز (رمزى) كتفيه ، وقال :

- إننى لن أقاتلك على الأقل بدون سلاح .

ثم استطرد بلهجة تشف عن الاهتمام :

- بل يمكننى أن أقاتل إلى جوارك .

قال (رالف) فى خشونة :

- وما الذى يجعلنى أحتاج إليك ؟.. إننى أستطيع نسف المكان كله وحدى .

مط (رمزى) شفتيه ، وقال :

- هذا ما خشيته .

صاح (رالف) :

- أرأيت ؟.. إنك تنتمى إليهم .

قال (رمزى) فى سرعة :

- بل أخشى أن تخسر كل ما لديهم ، بنسفك المكان .

سأله (رالف) فى حذر :

- وماذا لديهم ؟

لوّح (رمزى) بكفه ، قائلًا :

- الكثير .

ثم اعتدل ، مستطردًا ، فى لهجة تستهدف إسالة لعاب (رالف) :

- تكفى شاشات الرصد ، وخرائط المدن القديمة ، وأجهزة الكمبيوتر ، والجرّاح الآلى ، وغيرها ، وغيرها ..

كانت الصفقة مغرية لـ(رالف) بالفعل ، فانخفضت فوهة مدفعه قليلًا ، وهو يقول :

- أنت على حق .. لا ينبغى تحطيم هذه الأشياء الجميلة ، فهى آخر الأجهزة الحديثة ، على سطح الأرض .

ابتسم (رمزى) ، قائلًا :

- هذا صحيح .

انخفض سلاح (رالف) أكثر ، وأكثر ، وهو يقول فى جشع :

- ولكن كيف يمكن الحصول على هذه الأشياء ، دون قتل الجميع ؟

همس له (رمزى) :

- هناك مدخل آخر للمقر السرى ، لا يعلم بوجوده سواى ، وسوى (نور) ، الذى اختفى كما رأيت ، ويمكننا التسلل عبره ، ومفاجأة الجميع ، و ...

قاطعه (رالف) فى لهفة :

- وأين هذا المدخل الآخر ؟

أشار (رمزى) إشارة مبهمة خلف ظهره ، قائلًا :

- هنا .

ثم استدار مستطردًا :

- اتبعنى .

تبعه (رالف) كالمسحور ، وقد أسالت الفكرة لعابه بالفعل ، وراح يحلم بالحصول على كل هذه الأجهزة ، التى تعيد إليه حلمه بالسيطرة على الأرض ، وإقامة إمبراطوريته ، و ...

وفجأة استيقظت عقليته العلمية ، وتغلّبت على شهوته وأطماعه ، فتوقّف فى مكانه ، وعاد يصوّب فوهة مدفعه إلى ظهر (رمزى) ، قائلًا فى حدة :

- مهلًا يا رجل .. كيف أثق فى أنك لا تقودنى إلى فخ جديد .

التفت إليه (رمزى) ، يسأله :

- ما الضمان الذى تريده ؟

كان (رمزى) يتوقّع أن يطلب (رالف) أية ضمانات ، وقد بنى خطته على هذا الاحتمال ، وعلى وسيلة الإيقاع بالألمانى ، استنادًا إلى هذا ، ولكنه فوجئ بـ(رالف) يخرج من حزامه قرصًا صغيرًا ، وهو يقول :

- ابلع هذا .

تطلّع (رمزى) إلى القرص ، وهو يقول فى دهشة :

- أبلعه ؟!

أجابه (رالف) فى غلظة :

- نعم .. ابلعه .. هذا هو الضمان الوحيد ، الذى يجعلنى أشعر بالثقة .

سأله (رمزى) فى قلق :

- وما هذا القرص بالضبط ؟

أجابه (رالف) فى خشونة :

- قنبلة .

تراجع (رمزى) ، هاتفًا فى دهشة :

- قنبلة ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟

أجاب (رالف) فى حدة :

- نعم .. إنه قنبلة .. قنبلة إليكترونية صغيرة ، يمكننى تفجيرها بالضغط على هذا الزر الصغير فى حزامى ، فلو حاولت خداعى ، أو أوقعت بى فى فخ ما ، سيكفى أن أضغط هذا الزر ، فتنفجر القنبلة فى أحشائك ، وتقضى عليك فى الحال .

قال (رمزى) فى توتر :

- أية فكرة حمقاء هذه ؟

وضع (رالف) القرص فى يد (رمزى) ، وهو يقول :

- حمقاء أو غير حمقاء .. إنها ضمانى الوحيد .

ثم صوّب مدفعه إلى (رمزى) ، مستطردًا بلهجة صارمة آمرة .

- هيا .. ابلع القرص ، أو أنسف رأسك بحزمة أشعة واحدة .

وكان يعنى ما يقول ..

* * *

شعرت أجهزة (س ــ ١٨) بذلك الارتفاع التدريجى السريع ، فى درجة حرارة جسمه الخارجى ، وأدركت أن الغلاف الواقى لن يلبث أن ينهار فى سرعة ..

وكان عليها أن تجد حلا ومخرجا ..

ولم تستغرق تلك الأجهزة أكثر من ثانية واحدة ، لتجد الحل ..

وعلى الفور استدار (س ــ ١٨) ، وانطلق بسرعته القصوى فى الاتجاه العكسى ، ليغادر قلب الشمس ..

وارتفعت درجة حرارة الجسم الخارجى أكثر وأكثر ..

ولكن (س ـ ١٨) كان قد غادر الشمس ، وواصل انطلاقه بسرعته القصوى ، للابتعاد عنها بقدر الإمكان ..

وعادت درجات الحرارة تنخفض ..

ولكن ذلك النشاط الشيطانى فى أعماقه لم يتوقف ..

وبدأت آلات (س ـ ١٨) ترتبك ..

ذلك الشىء الشيطانى داخله ، كان يحاول دفعه إلى العودة للأرض ، دون أن يتخلص من القرص الشرير ..

ولكن (س ـ ١٨) لم ينفذ أمر القوة الشريرة هذه المرة ..

لقد أزال غلافه الواقى لحظة ، فتح خلالها تلك الفجوة فى صدره ، وانتزع منها القرص الشيطانى ، ثم أعاد الغلاف حوله ، والتفت إلى الشمس ، وألقى القرص بكل قواه ..

ألقاه فى قلب الشمس ..

وغاص قرص الشر فى قلب اللهب ..

وانطلقت فى أعماق الجحيم صرخة هائلة ، حملت آلام وعذاب أجيال كاملة ..

صرخة شيطان نصف بشرى ..

شيطان يحتضر ..

وهنا .. هنا فقط تحرّرت أجهزة (س ـ ١٨) ، واستعادت سيطرتها على برامجها الموضوعة منذ عشرات القرون ..

هنا فقط شعر (س ـ ١٨) أن مهمته قد انتهت ، فاستدار عائدا إلى حيث واجبه ..

إلى الأرض ..

* * *

التف الآليون الخمسة حول (نور) ، وصوّب إليه أحدهم كرة لامعة ، كانت ولا شك سلاحا من أسلحة ذلك البعد ، وابتسم الرجل البرتقالى البشرة ، وهو يقول فى هدوء مظفر واثق :

ـ لا فائدة يا صديقى .. لا تحاول المقاومة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ قد لا تكون هناك فائدة بالفعل .

ثم قفزت قدمه فجأة تركل الكرة المعدنية اللامعة ، من يد الآلى ، مستطردا :

ـ ولكن لا بد من المحاولة .

أصابت ركلته الكرة مباشرة ، فطارت من يد الآلى ، الذى قال بلهجته المعدنية ، الخالية من أية انفعالات :

- هناك مقاومة .

ولكن (نور) قفز يلتقط تلك الكرة فى الهواء ، ثم هبط بها على قدميه ، وهو يصوبها إلى الآلى ، وإن لم يدر كيف يدفعها للعمل ، فى حين هتف الرجل :

- أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

رأى (نور) الآلى يلتقط كرة لامعة أخرى من خلف ظهره ، وهو يردد :

- لا نسمح له بالفرار .

وشعر (نور) بضرورة التصرف فى سرعة ، فأدار الكرة فى يده ، وضغطها ، و ...

وانطلق شعاع أحمر حار من الكرة بغتة ، إثر ضغطة (نور) ، ليرتطم بالآلى فى عنف ، ويحطم صدره فى قوة ..

وسقط الآلى أرضًا ، ورأسه يردد :

- غير مسموح بالفرار .. غير مسموح بالفرار ..

وهنا تراجع (نور) فى حركة حادة ، وانقض على الرجل ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى قوة ، ثم أحاط عنقه بذراعه الأخرى ، هاتفًا :

- مر هؤلاء الآليين بإيقاف القتال ، والعودة إلى إصلاح المركبة .

لم يحاول الرجل أن يقاوم ، وإنما هتف على الفور :

- أوقفوا القتال ، وعودوا إلى إصلاح المركبة .

أطاعه الآليون بلا تردد ، وعادوا ينهمكون فى إصلاح مركبة (رالف) ، فى حين قال الرجل لـ(نور) فى توسل :

- اتركنى .. أرجوك .. إنك ستتسبب فى مصرعى ، بأسلوبك هذا .

قال (نور) فى صرامة :

- اطمئن .. لن أقتلك ، لو أخبرتنى أين أجد ابنتى .

أجابه وهو يختنق بضغط الذراع :

- ابنتك فى الحجرة المجاورة ، ولكن زعيمنا لا يحتمل الفشل ، وسيقتلنى لو لم ألق القبض عليك ، وأكشف سر الفجوة ، التى تقود إلى عالمك .

قال (نور) فى حدة :

- لن أسمح بكشف هذا أبدًا .

ودفع الرجل نحو باب الحجرة المجاورة ، والرجل يقول فى صعوبة :

- أنت لا تفهم الأمر جيدًا .. إننا الأقوى بين كل الأبعاد السبعة ، ومن الطبيعى أن نسيطر عليها .. إننا جميعًا نحتل المساحة نفسها ، ولكن بذبذبات مختلفة ، و ...

قاطعه (نور) :

- اصمت ، وقدنى إلى ابنتى .

دفع الرجل الباب الجانبى ، ودلف مع (نور) إلى قاعة أخرى ، جلست (نشوى) على مقعد فى منتصفها ، وأحاط بها

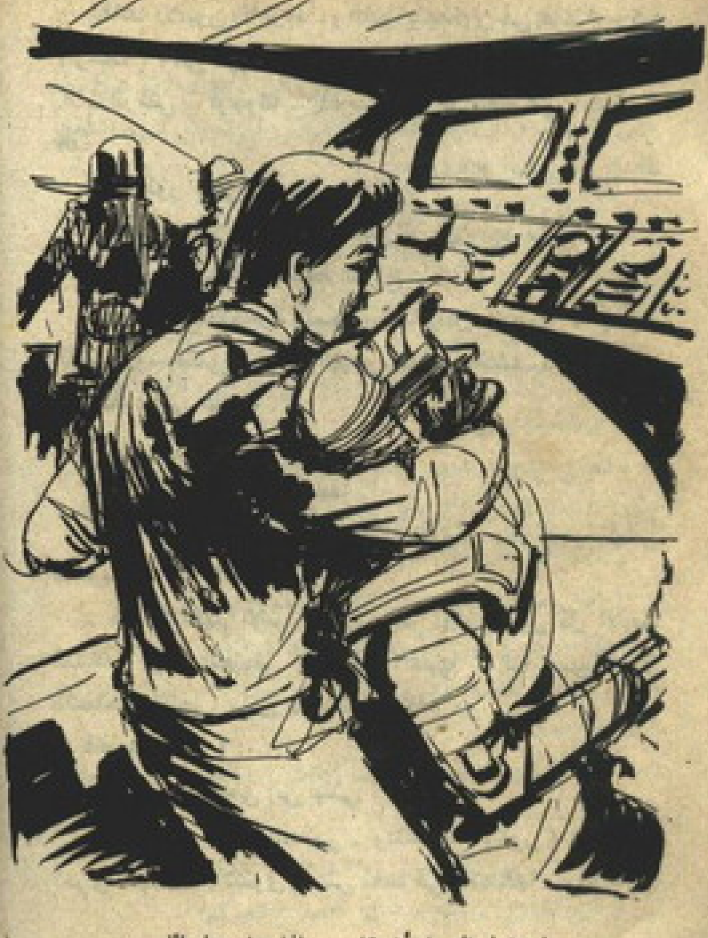

لم يحاول الرجل أن يقاوم، وإنما هتف على الفور :
ـــ أوقفوا القتال، وعودوا إلى إصلاح المركبة ـــ

ثلاثة من الرجال ، لهم بشرة برتقالية أيضا ، وإن اختلفت درجات لون بعضهم عن بعض ، وتراجع الرجال الثلاثة فى دهشة ، مع رؤية (نور) ، فى حين هتفت (نشوى) فى سعادة جمة ، كغريق عثر فجأة على طوق النجاة :

ـ أبى ؟!.. يا إلهى !.. أبى .

قفزت من مقعدها ، واندفعت نحوه ، وكادت تتعلّق بعنقه ، من فرط سعادتها لرؤيته ، لولا ذلك الذى يحول بينها وبينه ، وتمنى (نور) أكثر منها ، لو يضمها إلى صدره ، وهو يقول فى انفعال :

ـ (نشوى) .. إذن فأنت على قيد الحياة بحق يا بنيتى .. أنت على قيد الحياة .

هتفت :

ـ نعم يا أبى .. مازلت على قيد الحياة .. وكنت أعلم أنك ستأتى لإنقاذى .. لم أكن أدرى كيف ، ولكننى كنت واثقة من أنك لن تتركنى هنا أبدا .

صاح الرجل ، الذى يمسك به (نور) ، بصوت متحشرج مختنق :

ـ لن يمكنكما الخروج من هنا أبدا .. لقد انتهى أمركما .. انتهى إلى الأبد .

شدد (نور) من ضغط ذراعه على عنق الرجل ، وهو يقول :

ـ لا تحاول دفع اليأس إلى قلوبنا يا رجل .. إننا سنغادر هذا البعد اللعين ، على الرغم من الجميع ، فمازال أمامنا وقت كاف قبل غروب الشمس .

هتف الرجل :

ـ هذا ما أعنيه .. إنكما ستفقدان الغروب حتما .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ومن منحك هذه الثقة العمياء ؟

أجابه الرجل ، وهو يلهث ألما :

ـ العلم .. العلم منحنى هذه الثقة ، فصحيح أن علماءنا لم ينجحوا بعد ، فى بلوغ بعدكم ، ولكنهم يعلمون عنه الكثير رياضيًا ، فالنظريات تقول أنه من المحتم أن يحدث توازن بين الأبعاد السبعة ، وإلا فنت كلها دفعة واحدة ، وطبقًا لهذه النظرية ، يكون هناك اختلاف كبير فى الزمن ، بين بُعدنا وبُعدكم ، فالساعة الواحدة هنا ، تساوى أربع ساعات فى بُعدكم ، وأنت هنا منذ ساعتين تقريبا ، وهذا يعنى ثمان ساعات من زمن البُعد ، الذى تنتمى إليه .. أتعلم ما يعنيه هذا ؟

اتسعت عينا (نشوى) فى رعب ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر ..

لقد فهم الإثنان ما يعنيه هذا ..

إنه يعنى أن الشمس قد غربت تقريبًا ، فى بُعدهما ، وعند مقرهما السرى ..

ويعنى أنهما قد فقدا الأمل فى العودة إلى عالمهما ..

فقدا الأمل الأخير ..

وإلى الأبد ..

٧ ـ الصــراع ..

فركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وهى تتطلع إلى شاشة الراصد ، وقالت فى توتر كامل :

ـ الشمس توشك على المغيب ، والفجوة انكمشت إلى حد كبير .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفها ، وهو يقول محاولا بث بعض الاطمئنان فى نفسها :

ـ لم ينته الأمر بعد .

قالت (مشيرة) فى خفوت :

ـ ولكنه يكاد .

ثم ألقت نظرة على شاشة راصد آخر ، مستطردة فى قلق واضح :

ـ ولست أدرى ماذا سيفعل (رمزى) ، مع ذلك الألمانى .

اعتدل الدكتور (رشاد) ، وتوقف عن كتابة معادلاته ، وهو يقول :

ـ لو كان لدينا أمل ، فى أن تعيد إلى الأرض حضارتها ، وإلى البشر عقولهم ، فهذا الأمل لن يتحول أبدًا إلى حقيقة ، إلا بعد هزيمة (رالف) ، والقضاء على شروره .

قال (محمود) فى مرارة :

- ولكن كيف ؟.. أنت ترى كيف أنه يفوقنا قوة بكثير ، وها هو ذا يضع (رمزى) فى موقف شديد الحرج والخطورة ، ولست أدرى كيف يمكننا حتى إنقاذه ؟!

أطلق الدكتور (حجازى) زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، وقال :

- الواقع يا رفاق أننا فى أسوأ موقف عرفناه ، منذ انتهى الغزو ، ولا أحد سوى الله (سبحانه وتعالى) ، يمكنه أن يدرك كيف سينتهى الأمر .. كيف ؟..

* * *

أمسك (رمزى) القنبلة الإليكترونية الدقيقة فى توتر شديد ، وهو يبحث عن مخرج من هذا المأزق ..

كان المفروض أن يخدع (رالف) ، وأن يدفعه إلى الوقوع فى فخ خاص ، صنعه (نور) للإيقاع بالمتسللين ، ولكن ابتلاع هذا القرص المتفجّر سيوقعه هو تحت رحمة (رالف) ..

و(رالف) هذا بلا رحمة ..

أما لو رفض ابتلاع القرص ، فسيطلق (رالف) أشعته عليه بلا تردد ..

فأين المخرج ؟..

لم يطل به التفكير فى الأمر ، فقد برز (أكرم) فجأة من بين الأطلال ، وانقضّ على (رالف) من الخلف ، هاتفًا :

- لا عليك يا رجل .. سنجرى تعديلًا للخطة .

وأحاط ذراعى (رالف) بساعديه من الخلف ، مستطردًا فى سخرية :

- أظن زيك العظيم هذا لا يمنع تطويقك .. أليس كذلك ؟

قاومه (رالف) فى شدة ،، وهو يصرخ :

- أيها الحقير .. أيها القذر ..

ألقى (رمزى) القرص من يده ، واندفع نحو (رالف) ، محاولًا انتزاع مدفعه الليزرى ، ولكن (رالف) رفع قدميه ، ودفعهما فى صدر (رمزى) ، هاتفًا :

- لن تفلح .

كانت الضربة قوية ، حتى أنها ألقت (رمزى) بعيدًا ، فى حين جاهد (رالف) ، ليضغط بسبابته زرًا آخر فى حزامه ، صائحًا :

- من قال أن هذا الزى لا يمنع تطويقى ؟

لم يكد يضغط الزر ، حتى أحاط به غلاف من القوى الكهرومغناطيسية ، دفع ذراعى (أكرم) فى عنف ، وألقاه أرضًا ، فالتفت إليه (رالف) ، وصوّب مدفعه إلى رأسه ، صائحًا فى شماتة غاضبة :

- الآن ستدفع ثمن غرورك .

ولكن (رمزى) اندفع نحو (رالف) ، صائحًا :

- ومن سيسمح لك ؟

استدار إليه (رالف) فى سرعة ، وأطلق أشعة مدفعه نحوه ، صائحا :

- يسمح ؟!

حاول (رمزى) أن يتفادى حزمة الأشعة ، ولكنه شعر بآلام رهيبة فى ذراعه ، وانتزعته طلقة الأشعة من مكانه ، لتلقى به مترين على الأقل إلى الخلف ، و (رالف) يطلق ضحكته الشيطانية ، هاتفا :

- أرأيت ؟.. إنكم أضعف من أن تتصدوا لـ(رالف) .

هب (أكرم) واقفا ، وقفز يدفع (رالف) بقدمه فى ظهره ، صائحا :

- يمكننا أن نبعده على الأقل .

كانت الركلة من القوة ، بحيث أسقطت (رالف) على وجهه أرضا ، فتجاوزه (أكرم) بقفزة واحدة ، واندفع نحو (رمزى) ، وعاونه على النهوض فى سرعة ، هاتفا :

- أسرع .. سنعود إلى قواعدنا .

انطلقا يعدوان مبتعدين ، فى حين نهض (رالف) ، وراح يطلق أشعته خلفهما ، وهو يصرخ فى ثورة جنونية :

- لا أحد يهزم (رالف) .. لا أحد يهزمه .

تفجرت حزم الأشعة حولهما ، وهما يعدوان نحو المدخل

الرئيسى للمقرى السرى ، وانفتح أمامهما المدخل ، وسمح لهما بعبوره ، قبل أن يعود بالانغلاق . و (رالف) يندفع نحوه صارخا :

- لن يفلت أحدكم منى .. لن تفلتوا منى أبدا .

انهالت أشعته الليزرية على المدخل فى ثورة ، واحتملها الباب القوى لفترة ، قبل أن يتوقف (رالف) عن إطلاقها ، ويلهث من فرط الانفعال ، قائلا :

- إنها مسألة وقت .. .. مسألة وقت فحسب .

ولو أنه رفع عينيه إلى السماء ، وشاهد الفجوة الخضراء ، التى انكمشت فى شدة ، حتى أصبحت تكفى بالكاد لمرور مركبته الطائرة ، التى سرقها (نور) ، لأدرك أنه على حق تماما .. إنها مسألة وقت ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) فى رعب ، عندما سمعت حديث الرجل ، ذو البشرة البرتقالية ، وأدركت ما يعنيه ، ولم يحتمل عقلها فكرة البقاء فى هذا البعد إلى الأبد ، فهتفت بـ(نور) :

- أبى .. هل تعلم ما يعنيه هذا ؟

أجابها (نور) فى حزم :

- نعم يا (نشوى) .. إنه يعنى ضرورة خروجنا من هنا ، بأقصى سرعة ممكنة .

هتف الرجل :

ـ لن يمكنكما هذا أبدًا .. قدومكما إلى هنا ـ فى حد ذاته ـ يعد أشبه بالمعجزة ، فقد أمكنكما الوصول إلى منطقة الصفر ، وهى ذلك البرزخ بين الأبعاد السبعة ، الذى تتعادل فيه ذبذبة كل الأبعاد ، بحيث يمكن عبره أن تنتقل مخلوقات أى بُعد ، إلى البُعد الآخر ، ولسنا ندرى بعد كيف نجحتم فى بلوغ هذه المنطقة ، التى يحتاج بلوغها إلى طاقة هائلة ، ليس من السهل على أية حضارة توليدها .

قال (نور) فى صرامة :

ـ دع مشكلة الخروج لنا .

قال أحد الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يستجوبون (نشوى) :

ـ لن يكون هناك وقت لهذا ، فهذه الحجرة تخضع لمراقبة شديدة ، من سلطات الأمن ، ولقد رأى المسئولون كل ما حدث ، وسمعوا كل حرف تبادلناه هنا ، ولن تمض ثوان ، حتى يقتحم الحراس الآليون المكان ، ويلقون القبض عليك ، وعلى ابنتك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامع (نور) وقع أقدام عشرات الآليين ، وهم يتقدمون نحو الحجرة ، من الجانب الآخر ، فدفع الرجل الذى يمسك به بعيدًا ، وجذب إليه ابنته ، هاتفًا :

ـ هيا .. سنحاول استغلال ما تبقى من الوقت .

اندفع معها عبر الباب الجانبى ، إلى القاعة الأولى ، وصاح بالآليين ، الذين انتهوا تقريبًا من إصلاح المركبة :

ـ ابتعدوا .

ومن العجيب أنهم أطاعوه فى هدوء ، فابتعدوا عن المركبة ، وتركوه يندفع إليها ، ثم يحمل ابنته ، ويضعها داخلها ، هاتفًا :

ـ أشعلى المحرك ، وانتظرى عودتى .

صاحت مذعورة :

ـ أين ستذهب ؟

أسرع إلى لوحة الأزرار ، المتصلة بالشاشة البيضاء الضخمة ، واعتصر ذاكرته فى قوة ، وهو يضغط الأزرار بنفس السرعة والتتابع ، اللذين ضغطها بهما الآلى ، عندما جاء به إلى هنا ..

ولكن الشاشة بقيت كما هى ..

لوحة بيضاء ضخمة صامتة ..

واندفع الرجل البرتقالى إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، هاتفًا :

ـ لن أسمح لك .

انقض على (نور) فى عنف ، واشتبك معه فى قتال يدوى ، مستطردًا :

ـ لن ترحلا من هنا أبدًا .

ولكن (نور) كال له لكمة كالقنبلة فى معدته ، وهو يهتف :

ـ ابتعد يا رجل .

وأعقبها بأخرى فى فكه ، مستطردا :

ـ كل ما نريد هو حريتنا ،

وثالثة فى أنفه ، صائحا :

ـ حريتنا فحسب .

سقط الرجل فى قوة ، فى حين بدأ الآليون يتحركون فى توتر ، وصاحت (نشوى) فى هلع :

ـ هل سنبقى يا أبى ؟

لم يجب (نور) ابنته ، وهو يستدير مرة أخرى إلى لوحة الأزرار ..

هل سيبقى معها ؟..

هل سينتهى بهما الأمر فى بعد آخر ؟..

فى زمن آخر ..

هل سيترك الأرض تواجه مصيرا مظلما جديدا ؟..

إنه يجهل هذه الرموز ..

ويجهل كيفية إشعال الجهاز ..

كل ما يعرفه هو تتابع ضغط الأزرار ، الذى قام به الآلى ..

وفجأة انقضّ عليه البرتقالى من الخلف ، صائحا :

ـ قلت لك لن تخرج .

ولكن (نور) دفع مرفقه فى معدة الرجل من الخلف ، هاتفا :

ـ سأحاول .

سقط الرجل أرضا مرة أخرى ، وهو يمسك معدته فى ألم هذه المرة ، فى حين بدا الحراس الآليون ، وهم يعبرون القاعة الأخرى ، إلى الباب الجانبى ، وصاحت (نشوى) :

ـ لقد وصلوا .

قفز (نور) نحو الباب الجانبى ، وأوصده فى قوة ، ثم عاد يقف أمام الشاشة فى حيرة ، والبرتقالى يكرّر فى ألم :

ـ لن تفلح .. لن تفلح أبدا .

وارتفعت طرقات رهيبة على الباب ، وبدا من الواضح أنه لن يصمد أبدا أمام ضربات الآليين ، وهتف (نور) :

ـ هناك حل .. هناك حل حتما .. لقد وصلنا إلى هنا عبر الفجوة ، وهناك بالتأكيد وسيلة عكسية ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. وسيلة عكسية .

عاد يضغط أزرار اللوحة ، ولكن بترتيب معكوس ، لذلك الذى استخدمه الآلى ، وتراجع فى سرعة ، وخفق قلبه فى ارتياح ، عندما رأى جزءا من الشاشة البيضاء ، وهو يتلوّن بلون داكن ، وأسعدته رنة المرارة فى صوت الرجل البرتقالى ، وهو يقول فى حنق :

ـ اللعنة !

واندفع (نور) مرة أخرى إلى المركبة ، وقفز داخلها ، هاتفا :

ـ هيا هو ذا باب الأمل ، ينفتح على مصراعيه أمامنا .

انهار الباب فى هذه اللحظة ، تحت ضربات الحراس الآليين ، وصاح الرجل البرتقالى فى شراسة :

ـ أوقفوه .. اقتلوه ..

ضغط (نور) أزرار القيادة فى سرعة ، وجذب ذراع الانطلاق ، واندفعت مركبة (رالف) نحو الفجوة الضخمة ، التى تكونت على الشاشة ، وخلفه تنطلق حزمة الأشعة القاتلة ..

وعبرت مركبة (رالف) الفجوة ..

عبرتها إلى العدم ..

مرة أخرى وجد (نور) نفسه فى أرض العدم ..

وعبر الفجوة ، سمع (نور) البرتقالى يصرخ :

ـ اسرعوا خلفه .. لا تسمحوا له بالفرار .

وهنا استدار (نور) بالمركبة ، وصرخت (نشوى) :

ـ ماذا ستفعل يا أبى ؟

انطلق نحو الفجوة مرة أخرى ، ورأى الحراس الآليين يتجهون لعبورها ، فضغط زر الليزر بلا تردد ..

وانطلقت الأشعة المدمرة ، فى مدفع المركبة ..

وانسحق عدد من الآليين ..

ثم أطلق (نور) حزمة أخرى من الأشعة ، أصابت لوحة الأزرار مباشرة ..

واختفت الفجوة إلى العالم البرتقالى فجأة ..

وهتفت (نشوى) :

ـ لقد انتصرنا .. انتصرنا يا أبى .

أجابها فى حزم ، وهو يستدير إلى الفجوة الخضراء :

ـ ليس بعد يا (نشوى) .

أطلقت شهقة ذعر ، وهى تتطلع إلى الفجوة الخضراء ، التى انكمشت أكثر وأكثر ، ولم تعد تسمح بعبور المركبة ، وهتفت :

ـ انتهى الأمر .

أجابها (نور) ، وهو يزيد من سرعة المركبة :

ـ ليس بعد ..

ولكن السباق لم يكن يسير لصالحه ..

كانت الفجوة تنكمش فى سرعة ..

وتنكمش أكثر ..

وأكثر ..

وغصّ حلق (نور) بمرارة لا حصر لها ..

ولأوّل مرة فى حياته ، اعترف بالهزيمة ..

لقد خسر السباق ..

وخسر آخر أمل فى النجاة ..

وعلى الأرض اتسعت عينا (سلوى) فى ذعر وذهول ، وهى تراقب الفجوة على شاشة الراصد ، وتهتف فى ارتياع :

ـ هيا يا (نور) .. هيا .. عد .. عد يا (نور) .

ولكن الفجوة تلاشت تماما ، واختفت من السماء ..

ومعها اختفى الأمل من قلب (سلوى) ، التى أطلقت صرخة ارتياع ولوعة ، ثم سقطت فاقدة الوعى ..

وضاع الأمل .

* * *

٨ ـ لا لليأس ..

ران صمت رهيب طويل ، داخل المقر السرى للفريق ..

صمت يحمل رائحة اليأس ، وطعم الهزيمة ..

كانت (سلوى) فاقدة الوعى ، والدكتور (حجازى) يحاول إسعافها ، و(محمود) والدكتور (رشاد) يحدقان فى معادلاتهما الأخيرة فى مرارة ، و(أكرم) يتابع تحركات (رالف) على الشاشة فى غيظ ، وكرامته الجريحة تدمى فى حنق ، أما (مشيرة) ، فقد راحت تضمد جرح ذراع (رمزى) فى إشفاق حنون ، حتى انتهت من تضميده ، فهمست :

ـ ستكون بخير بإذن الله .

أجابها فى حزن واضح :

ـ شكرا لك .

تطلعت إليه لحظات فى أسى ، ثم سألته هامسة :

ـ أحزنت من أجلها ؟

كان يعلم أنها تقصد (نشوى) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سألها :

ـ من أجل من ؟

قالت فى مرارة :

ـ من أجل (نشوى) .

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :

ـ ومن لم يحزن من أجلها ، ومن أجل (نور) .

قالت بصوت يقارب البكاء :

ـ حزنك أنت سيفوق أحزان الآخرين ، لأنك .. لأنك ..

انخفض صوتها ، على الرغم منها ، وهى تكمل :

ـ لأنك تحبها .

كانت تتمنى أن ينكر هذا ..

أن يجاملها بالإنكار ..

ولكنه لم يفعل ..

لم ينطق بحرف واحد ..

وكان هذا ـ فى رأيها ـ أبلغ اعتراف بحب (نشوى) ..

وفى مرارة لا حد لها ، غمغمت :

ـ لقد فهمت .

نهضت تبتعد عنه ، فأمسك كفها ، متمتما :

ـ (مشيرة) .. سامحينى .. ليس هذا بيدى ..

سالت دموعها على وجنتيها ، وهى تقول :

ـ أعلم هذا يا (رمزى) .. أعلم هذا .

هم بالتخفيف عنها بعبارة ما ، لولا أن هبّ (أكرم) واقفا فجأة ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. لن أترك هذا الوغد يفعل بنا ما يفعله

قال (محمود) فى توتر :

ـ وكيف ستتصدى له ؟

ضرب (أكرم) قبضته فى راحته ، وهو يقول فى انفعال :

ـ كل ما أحتاجه هو تحطيم خوذته ، أو تمزيق زيه .. لو نجحت فى هذا أو ذاك ، فأقسم أن أسحقه سحقًا بعدها .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ تحطيم خوذته ؟!

ثم اعتدل مستطردا فى حزم :

ـ أظن أن لدى ما تحتاجه .

التقت نظراته بنظرات (أكرم) ..

وانبعث أمل جديد ..

* * *

لم يشعر (نور) فى حياته بالمرارة واليأس ، مثلما شعر بهما هذه المرة ، وهو يقف مع ابنته وسط العدم ..

وسط الفراغ اللامتناهى الرهيب ..

وفى حزن جارف ، قالت (نشوى) :

ـ ها نحن أولاء نعود إلى نقطة البداية .

تنهد (نور) ، وقال :

ـ نعم .. عدنا إلى الضياع فى أرض العدم هذه ، وسنبقى سجناء فيها ، حتى يقتلنا الجوع أو الخوف .

قالت فى أسى :

- اطمئن .. لن يقتلك الجوع ، فأنا لم أشعر بالجوع قط ، طوال الفترة التى قضيتها هنا ، ويبدو أن هذه المنطقة توقف بعض العمليات الحيوية فى الجسم .

لوح بكفيه ، قائلًا :

- إنه قدرنا .

شملهما الصمت لحظات ، قبل أن تقول هى :

- على الأقل لقد منعناهم من غزو الأرض .

قال فى مرارة :

- إلى فترة محدودة ، فلن يلبث علماؤهم أن يدرسوا الأمر مرة أخرى ، ويتمّ إصلاح لوحة الأزرار .. لا يمكنك أبدا إيقاف أطماع قوم مثلهم ، ما دامت الميول الاستعمارية قد وجدت طريقها إلى قلوبهم وعقولهم .

شعرت بخطورة كلماته ، فعادت تلوذ بالصمت لحظات ، قبل أن تقول :

- ولكنك كنت رائعًا يا أبى .. كالمعتاد .

هزّ رأسه ، قائلًا :

- ليست مسألة روعة يابنيتى ، بل هى تلك الطاقة ، التى تندفع فى عروق المرء ، عندما يواجه خطرًا أو انفعالًا .. هل تذكرين كيف استعدنا جميعًا ذكرى رحلتنا إلى المستقبل ، عندما واجهنا خطر دمار الأرض ، على الرغم من أن أهل المستقبل قد حاولوا محو هذا من ذاكرتنا(*) .

قالت فى خفوت :

- لست أظن أنه من الممكن محو أى شىء ، من ذاكرة البشر .. يمكنك فقط إيداع هذا الشىء فى ركن مظلم من العقل ، ولن يلبث هذا الركن المظلم أن يضىء ، عندما يضغط أى انفعال أزراره ، ولو دون قصد .

صمتتك لحظة ، ثم عادت تسأله فى انفعال :

- ولكن ألا يمكننا أن نحاول ؟

قال فى أسى :

- نحاول ماذا ؟

بدت حائرة ، وهى تقول :

- نحاول فتح الفجوة الخضراء مرة أخرى .

تنهّد ، وقال :

- لقد فكّرت فى هذا الأمر ، وسألت نفسى عما يمكن أن يحدث ، لو أننا أطلقنا مدفع الليزر على النقطة نفسها عدة مرات ، ولكن ..

سألته فى لهفة :

- ولكن ماذا ؟

تنهّد مرة أخرى ، وهو يهزّ رأسه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

ـ لا يمكننى تحديد النقطة ، التى كانت فيها الفجوة الخضراء .. من المستحيل وسط هذا العدم أن يحدد المرء أى اتجاه ، لأى شىء .. كل النقاط والاتجاهات تبدو متشابهة ، بلا ملامح أو حدود ..

ارتجف صوتها فجأة ، وهى تقول :

ـ كلها ما عدا هذا .

التفت فى سرعة إلى حيث تشير ، واتسعت عيناه فى توتر ، عندما وقع بصره على نقطة فى الفراغ ، تتلون مرة أخرى بذلك اللون الداكن ..

وأدرك على الفور أن أصحاب البشرة البرتقالية قد نجحوا فى إصلاح لوحة الأزرار ، بأسرع مما توقع ..

وأن عليه أن يواجه هجوما جديدًا ..

هجوما شرسا ..

* * *

انتهى (رالف) من غرس قنبلته التاسعة والأخيرة ، حول المقر السرى ، ثم اعتدل متطلعا إلى عمله فى زهو ، وقال فى مقت واضح :

ـ سأضحى بكل ما تمتلكون من أسلحة أيها السادة ، ومن معدات حديثه ، مقابل نسفكم بلا رحمة ..

تراجع بضع خطوات ، ليلقى نظرة طويلة على المقر ، ثم اتجهت يده إلى أحد أزرار حزامه ، وهو يقول :

ـ وداعا يا آخر الأبطال الحمقى على الأرض .

ارتفع فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ لا تبع فراء الدب قبل صيده أيها الوغد .

التفت إليه (رالف) فى حركة حادة ، ورفع فوهة مدفعه فى وجهه ، ثم ابتسم فى سخرية ، عندما رأى (أكرم) ممسكًا بجهاز صغير ، يشبه أجهزة اللاسلكى القديمة ، وقال :

ـ هل ستبث رسالة استغاثة ؟

قال (أكرم) فى حدة :

ـ بل أحضرت الجهاز لك ، فربما تحتاج أنت إلى بث هذه الرسالة ، قبل أن أنتهى منك .

قهقه (رالف) ضاحكًا ، وقال ساخرًا :

ـ يا لكم من أغبياء !!.. ألا تتعلمون أبدا ؟.. ألم يدرك أحدكم أن هزيمتى تعدّ مستحيلة ، وأنا أرتدى هذا الزى ، المعدّ لمواجهة أسوا الظروف المناخية ، والتصدى لكل أنواع الأسلحة المدمّرة تقريبا .. إننى بهذا الزى أصبح ـ بالنسبة إليكم ـ أشبه بـ(سوبرمان) حقيقى .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ فلنر هل تحتمل هذا السلاح الجديد يا (سوبرمان) ؟

قالها ، وضغط زر الجهاز فى حزم ..

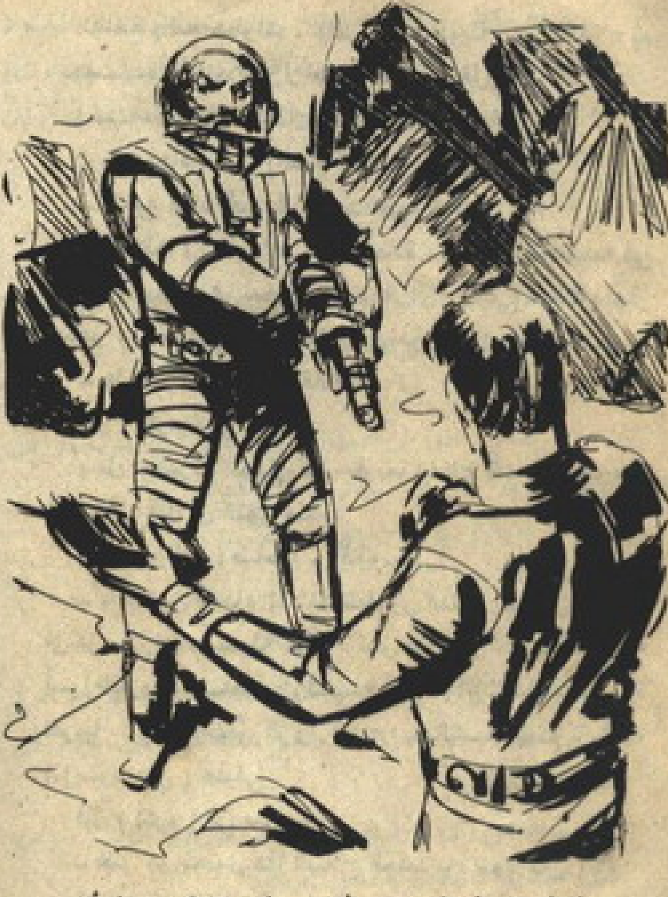

ورفع فوهة مدفعه فى وجهه ، ثم ابتسم فى سخرية ، عندما رأى (أكرم) ممسكًا بجهاز صغير ، يشبه أجهزة اللاسلكى القديمة ..

وانطلقت الموجات ..

موجات فائقة الصغر والقوة ، ملأت الفراغ كله ، وتركزت كلها حول خوذة (رالف) ، التى راحت تهتز فى قوة ، فصاح (رالف) ، وهو يرفع فوهة مدفعه نحو الجهاز :

ـ ما هذا بحق الشيطان ؟

قال (أكرم) فى انفعال :

ـ جهاز إطلاق موجات فوق صوتية .. لن تحتمله خوذتك حتمًا ، ولو كانت مصنوعة من الزجاج المضاد للقنابل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تشققت خوذة (رالف) ، ثم انهارت كلها دفعة واحدة ..

وصرخ (رالف) ، وهو يطلق أشعة مدفعه على الجهاز ، الذى يمسك به (أكرم) :

ـ أيها الحقير .

أصابت الأشعة الجهاز ، ونسفته نسفًا ، ولكن (أكرم) اندفع نحو (رالف) ، صارخًا :

ـ لقد سئمت هذه العبارة .

انقضّ على (رالف) فى قوة ، وأحاط وسطه بذراعيه ، وسقط كلاهما أرضًا ، ثم تشبث (أكرم) بحافة الزى الفضى ، فى موضع الخوذة المحطمة ، وهو يقول :

ـ الآن أصبحت عاريًا أيها الوغد .

ثم هوى على فك (رالف) بلكمة قاسية ، أطلق لها (رالف) صرخة ألم ، ثم أدار قدمه فى قوة ، ودفع (أكرم) بعيدا عنه ، هاتفا :

ـ ليس من السهل أن تهزمنى .

ثم هبّ واقفا على قدميه ، وركل (أكرم) فى وجهه بعنف ، فاحتمل (أكرم) الركلة ، وتشبّث بقدمه ، صائحا فى مقت :

ـ سترى أيها الوغد .

ولكن (رالف) دفع (أكرم) بقدمه الأخرى فى صدره ، ثم تراجع بحركة حادة ، وقال :

ـ لقد وضعت حتى هذا الاحتمال فى الحسبان .

ضغط أحد الأزرار العديدة فى حزامه ، فتكوّنت حول رأسه خوذة أخرى ، مما جعله يُطلق ضحكة ساخرة عالية ، ويقول :

ـ أرأيت أيها الحقير .. ها قد عاد كل شىء إلى ما كان عليه .

ثم استدار يواجه المقرّ السرى ، مستطردا :

ـ لن أقتلك الآن .. سأسمح لك أولا برؤية المقر السرى ، وهو ينفجر كألف قنبلة ، ويتحوّل إلى غبار ، ولو لم يقتلك الانفجار ، سأتولى عنه هذه المهمة .. وبكل سرور .

أطلق ضحكة شيطانية رهيبة ، وقال :

ـ وداعا أيها الأبطال .. وداعا .

وضغط زر التفجير فى حزامه .

ودوى الانفجار ..

* * *

٩ ـ هجوم ..

ظلّ (نور) لحظات يحدّق فى تلك البقعة الداكنة وسط الفراغ ، والتى تتسع فى بطء ، وهو يبحث فى ذهنه عن حل لهذه المشكلة الجديدة ، فى حين قالت (نشوى) فى يأس :

ـ ماذا سنفعل هذه المرة ؟

لم يكن لديه جواب لسؤالها ، فاكتفى بالصمت ، وتركها تضيف :

ـ هل يمكننا مقاومتهم ؟

أجاب هذه المرة فى حزم :

ـ هذا كل ما نمتلكه .

ثم قفز داخل مركبة (رالف) ، وأدارها لتواجه الفجوة الجديدة ، مستطردا :

ـ ولن نتنازل عنه .

أطلق مدفع الليزر مرة ، ومرة .. ومرات ..

وفى كل مرة كانت الفجوة تمتصّ الأشعة ، وتتسع أكثر وأكثر ، حتى هتفت (نشوى) :

ـ كفى يا أبى .. من الواضح أن الأشعة ، التى نضرب بها الفجوة ، تمدّها بمزيد من الطاقة .

أوقف (نور) إطلاق الأشعة على الفجوة ، وهو يقول :

- هذا واضح .

لم يكد ينتهى من قوله ، حتى انفتحت الفجوة عن آخرها ، وبرز منها خمسة من الحراس الآليين ..

وبلا تردد ، أطلق (نور) أشعة المركبة نحو الآليين ، وراح يسحقهم واحدا بعد الآخر ، ولكن أعدادهم كانت تتزايد على نحو عجيب ..

كل آلى يسقط كان يظهر بدلا منه آليان ..

وبدأ الآليون فى القتال بدورهم ..

وانطلقت حزم الأشعة من الجانبين ..

وتحولت منطقة الصفر إلى ساحة قتال حقيقية ..

وهتفت (نشوى) :

- إلى متى يستمرّ هذا ؟

أجابها (نور) :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم .

ولكنه أشعل محركات المركبة ، مستطردا :

- ويمكننا أن نحاول إيقافه .

انطلق بالمركبة وسط الفراغ ، متفاديا حزم الأشعة ، التى تنهمر عليه كالمطر ، ثم مال بها فى مهارة ، وانقضّ على الفجوة مرة أخرى ، ورأى لوحة الأزرار الجديدة ، وخلفها الوجه ذو البشرة البرتقالية ، فأطلق أشعة الليزر ..

وانفجرت لوحة الأزرار الجديدة ..

واختفت الفجوة مرة أخرى ..

وهنا ارتبك الآليون ، وتوقفوا عن القتال ، ثم توقفت آلاتهم كلها ، وكأنما فقدوا اتصالهم بعالمهم تماما .

وفى ارتياح ، قالت (نشوى) :

- لقد انتصرنا .

أجابها (نور) :

- لست أحب أن أحطم ذلك الأمل ، الذى ينتعش فى صدرك يا بنيتى ، ولكن انتصارنا هذا لن يستمر إلى الأبد ، فمؤشر الطاقة لمدفع الليزر ، يشير إلى قرب نفاد طاقته ، فى حين لن تنضب أسلحة خصومنا فى سهولة .

شحب وجهها ، وهى تهمس فى ارتياع :

- إذن فلا أمل .

أجابها فى حزم :

- لن أفقد الأمل أبدا .

ولكنه كان يشعر فى أعماقه أن الأمل فى النجاة ضئيل .. ضئيل للغاية ..

* * *

كان الانفجار قويا عنيفا ، وعلى الرغم من هذا ، فلم ينسحق المقرّ السرى ، كما تصوّر (رالف) وخطط ..

القنبلة التاسعة وحدها انفجرت عند الجدار الغربى للمقرّ ، وأسقطت أحد جدرانه ، لتكشف جزءا من الممر الخلفى له ..

أما القنابل الثمانية الأخرى ، فقد انفجرت بعيدا ..

بعيدا إلى حد كبير ..

وهتف (رالف) ذاهلا :

ـ ما هذا ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه (أكرم) ، فى شىء من الشماتة :

ـ حدث أننى سرت على هداك ، ولكن على نحو عكسى ، فرحت أجمع كل القنابل ، التى غرستها أنت من قبل ، ووضعتها فى أحد الأطلال البعيدة ، وأنت منهمك فى غرس القنبلة التاسعة .

وابتسم فى سخرية ، مستطردا .

ـ لقد هزمتك هذه المرة بالفعل .

صرخ (رالف) :

ـ هزمتنى ؟!.. يا لك من واهم ساذج غبى !.. أتتصوّر أنك قد هزمتنى بالفعل أيها الحقير ؟!. كل ما فعلته هو أن أطلت الأمر قليلا ، ولكن النهاية لن تتغيّر .. يكفينى أن القنبلة التاسعة قد فتحت ثغرة فى جدار مقركم السرى .. وسأعبر هذه الفجوة إلى الداخل ، وأقتلكم جميعا واحدا بعد الآخر .. إنك لم تهزمنى أبدا .

أخرج (أكرم) مسدسه الليزرى ، وهو يقول :

ـ إننى لم أنته من دورى بعد .

أطلق (رالف) ضحكة عصبية ساخرة ، وقال :

ـ بل أنت لم تتعلّم الدرس بعد .. هل ستحاول قتلى بمسدس ليزرى ؟.. أنسيت أن هذا الزى يمكنه التصدى لقنبلة ذرية ؟

ابتسم (أكرم) ابتسامة متشفية ، وقال :

ـ بل أنت الذى نسيت أن خوذتك قد تحطّمت منذ دقائق ، وأننى تشبثت بها لحظة ، قبل أن تحيط نفسك بأخرى .

قال (رالف) فى حدة وقلق :

ـ وماذا فى هذا ؟

أجابه (أكرم) :

ـ هل تذكر ذلك القرص المتفجّر ، الذى حاولت إجبار (رمزى) على ابتلاعه ؟ .. لقد بحثت عن القرص ، ووجدته ، وأنا أنزع القنابل الأخرى ، وعندما تحطّمت خوذتك ، وتشبثت أنا بحافة الزى ، ألقيت القرص المتفجّر داخله ، ولقد أخطأت أنت ، عندما أشرت إلى الزر ، الذى يمكنه تفجيره .

اتسعت عينا (رالف) فى رعب ، ولوّح بذراعيه ، هاتفا :

ـ لا .. لا ..

ولكن حاجبى (أكرم) انعقدا فى عنف ، وارتسم كل الغضب والصرامة فى ملامحه ، وهو يقول :

ـ مت أيها الوغد .. إنك تستحق هذا .

نسى (رالف) ، من شدة رعبه ، أنه يمسك مدفعه الليزرى ، فصرخ فى هلع رهيب :

ـ لا .. لا .

ولكن (أكرم) ضغط زناد مسدسه الليزرى ..

وانطلق خيط الأشعة ..

وأصاب الزر المنشود ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، داخل الزى الفضى اللامع ، سحق (رالف) سحقا ، وحوّله إلى كومة من اللحم المفرى ، والعظام المطحونة ..

وسقط الزى الفضى اللامع ، وتدحرج أرضا ، بعد أن احتوت مادته قوة الانفجار ، فلم يتمزّق منها خيط واحد ..

وفى صرامة ، قال (أكرم) :

ـ كما قلت من قبل .. أنت تستحق هذا .

نهض فى بطء ، وألقى نظرة أخيرة على الزى الفضى ، وكومة الدماء والأشلاء داخله ، ثم اتجه إلى الفجوة ، التى صنعتها القنبلة فى الحائط ، وعبرها إلى داخل المقرّ السرى ، ولم يكد يعبر الممر الطويل ، إلى حجرة الرفاق ، حتى استقبله الجميع فى صمت ، جعله يقول ساخرا :

ـ هل أحزنكم مصرع هذا الوغد ؟

أجابه (رمزى) :

ـ كان مصرعه بشعا .

وأضافت (مشيرة) :

ـ ولكننا ندين لك بحياتنا .

التفت إليها ، قائلا :

ـ إننى مستعد لمواجهة قنبلة نووية ، من أجل عينيك الجميلتين .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، إزاء هذا الغزل المباشر ، وشعرت بحرج شديد أمام الجميع ، بنده الدكتور (رشاد) ، وهو يهتف فى حرارة :

ـ مرحى يا فتى .. لقد أنقذتنا بحق .. بل أنقذت الأرض كلها .

حطم هذا القول جدار الجمود ، الذى أحاط بالموقف كله ، فالتف الجميع حول (أكرم) ، يهنئونه بانتصاره ، وقال له الدكتور (حجازى) ، وهو يصافحه فى حرارة :

ـ أنت رائع يا ولدى .. صدقنى .. كنت سأعتبرك أعظم رجل التقيت به ، بعد الرائد (نور) ، لو أنك تقيم وزنا للحياة الآدمية ..

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ عندما سحقت ذلك الوغد الألمانى ، كنت أقيم وزنا للحياة الآدمية يا سيدى ..

حياتكم ، وحياة سكان الأرض القادمين .. وحتى حياة وأرواح هؤلاء الهمج ، الذين يسعى الرجل لاستعبادهم .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفه ، قائلا فى خفوت :

ـ صدقت يا ولدى .. صدقت .

أما (سلوى) ، فقد استعادت وعيها ، وانزوت فى أحد

الأركان تبكى فى مرارة ، فاقتربت منها (مشيرة) ، تقول فى حنان وحزن :

- رويدك يا (سلوى) .. ليس هناك ما يشير إلى مصرع (نور) و (نشوى) .. ربما كانا على قيد الحياة ، يقاتلان للعودة إلينا .

قالت (سلوى) فى مرارة :

- ولكن الفجوة اختفت .

أجابتها (مشيرة) :

- ومن أدراك أن (نور) لن يجد وسيلة أفضل ؟. ألم يواجه من قبل مخاطر أكثر صعوبة ، وأمكنه التصدى لها كلها ؟.. أنسيت كيف نجا من قبل ، من أمور أشد غرابة وصعوبة ؟

قالت (سلوى) من وسط دموعها :

- لم أنس هذا قط .

ورفعت رأسها إلى شاشة الراصد ، مستطردة :

- هذا هو الأمل ، الذى أحيا به ، والذى ..

بترت عبارتها بغتة ، وهتفت :

- يا إلهى !

التفت إليها الجميع ، يسألونها فى قلق :

- ماذا حدث ؟

أشارت إلى شاشة الراصد ، قائلة :

- الهمج .. كان (س - ١٨) وجدران المقرّ السرى يحمياننا منهم .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، وانتقل خوفها إلى قلوبهم ..

كان هناك عشرات من الهمج ، يعبرون الفجوة ، التى صنعتها قنبلة (رالف) الأخيرة فى جدار المقرّ السرى ، ويسيرون عبر الممر ، متجهين إلى حيث يجلس الجميع ..

كان هجوما جديدا ..

هجوما وحشيا ..

* * *

بدأت البقعة الداكنة تتكوّن من جديد ، بعد أقل من الساعة الواحدة ، بتوقيت الأرض ، وسط ذلك الفراغ المخيف ، وقالت (نشوى) بصوت مرتجف :

- إنهم يعيدون بناء أجهزتهم فى سرعة مدهشة .

غمغم (نور) ، وهو يستعد لإطلاق أشعة مدفع الليزر :

- هذا صحيح .

هتفت فى مرارة :

- ألن ينتهى هذا العذاب ؟

كان يشعر بالإحباط والحزن ؛ لأنه عاجز عن إزالة خوفها ، وبث بعض الطمأنينة فى نفسها ..

ولكن ماذا لديه ليفعله ؟..

إنه لا يملك سوى المقاومة ..

المقاومة حتى آخر رمق ..

حتى لو لم يكن هناك أمل ..

على الأقل ، سيبذل حياته من أجل ابنته ..

ومن أجل وطنه ..

وكوكبه ..

وفى بطء ، رأى الفجوة تتكون مرة أخرى ، ورأى الآليون يعبرونها اليه ، فضغط زر إطلاق مدفع الليزر ..

ومرة أخرى دارت المعركة الطاحنة ..

انطلق مدفع الليزر مرة ، ومرة ، ومرة ..

وأطلق الآليون أسلحتهم نحوه ..

ثم صمت مدفع الليزر ..

صمت فجأة ، بعد أن نفدت طاقته عن آخرها ..

وعبْر الفجوة ، ارتفع صوت صاحب البشرة البرتقالية ، وهو يهتف :

ـ لقد خسر سلاحه الأخير .. ألقوا القبض عليه الآن .

ورفع الآليون أسلحتهم الكروية فى وجه (نور) و (نشوى) ، ولكن (نور) قال فى حزم :

ـ ما زالت هناك وسيلة للمقاومة .

وأشعل محرّكات المركبة فجأة ، وانطلق بها .

لم يكن يدرى أين يتجه بالضبط ..

ولكن ما الذى تعنيه الاتجاهات ، فى منطقة كهذه ..

ما الذى يعنيه الانطلاق ، فى أرض العدم ..

كل ما كان يسعى اليه (نور) هو أن يبتعد ..

وبأقصى سرعة ممكنة ..

ولكن أشعة الكرات انطلقت خلفه فى إصرار ..

وارتجت المركبة بضربة مباشرة ..

وانتفضت بأخرى ..

وهتفت (نشوى) :

ـ لقد أصابوا المركبة .. سنسقط بين أيديهم .

وكانت على حق ..

لقد تهاوت المركبة ..

أو توقفت ..

لم يكن هناك أمر محدود ، يمكن وصفه ، وسط الفراغ والخواء والعدم ..

وفى مرارة ، رأى (نور) الآليين يحيطون به ، ويصوّبون اليه كراتهم اللامعة ، وسمع صاحب البشرة البرتقالية يقول :

ـ إنك عنيد أكثر مما ينبغى أيها الأرضى ، والاحتفاظ بك على قيد الحياة ، يعدّ مخاطرة ضخمة .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ اقتلوهما يا رجال .

وأطلقت (نشوى) صرخة رعب .

* * *

١٠ ـ العــودة ..

من العجيب أن المقر السرى كله ، لم يكن يحوى من الأسلحة ، سوى ذلك المسدس الليزرى ، الذى يمسك به (أكرم) ، مما جعل (رمزى) يهتف :

ـ هذا ما أخشاه منذ زمن طويل .. إننا لم نستعد أبدًا لمثل هذا اليوم .. كنا نعتمد تمامًا على حماية (س ـ ١٨) لنا ، وعلى متانة ومناعة المقرّ السرى ، حتى أننا لم نستعد للدفاع عن أنفسنا بأنفسنا .

رفع (أكرم) مسدسه ، قائلًا فى حزم :

ـ خطأ كبير يا رجل .

ثم صوّب المسدس إلى مدخل القاعة ، الذى بدأ الهمج يضربونه بقبضاتهم وهراواتهم فى عنف ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لا يعنى أن نقف عاجزين عن المقاومة .. استخدموا أى شىء للدفاع عن أنفسكم .. المقاعد ، والموائد .. وحتى أجهزة الكمبيوتر .. كل شىء .

تصاعدت ضربات الهمج على الباب ، حتى صرخت (مشيرة) فى انهيار :

ـ سيفترسوننا .. لم يعد هناك أمل .

صاح بها (أكرم) :

ـ لا تقلقى يا جميلتى .. لن يمسّ أحدهم شعرة واحدة من رأسك ، وأنا على قيد الحياة .

ارتفع لحظتها أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، وظهرت على الشاشة صورة رئيس الفريق الطبى ، وهو يقول فى توتر :

ـ لقد شاهدنا كل شىء على شاشتنا .. إننا نواجه هجومًا عنيفًا من الهمج ، ولا توجد وسيلة واحدة للتصدى لهم ، أو حتى للفرار من هنا .

صاح به (أكرم) :

ـ ليس أمامك إذن سوى المقاومة .. وبكل ما تملك من قوة .

وأنهى الاتصال بضربة واحدة ، فى نفس اللحظة التى انهار فيها الباب ، أمام هجمة الهمج ، الذين اندفعوا إلى الداخل بوجوههم المخيفة ، وصرخاتهم الوحشية ، الممتزجة بصرخات (سلوى) و (مشيرة) ، التى تموج بالرعب ، وصياح الدكتور (حجازى) :

ـ قاتلوا .. قاتلوا من أجل حياتكم .

وراح (أكرم) يطلق أشعة مسدسه فى توتر ، ولكن هؤلاء الهمج هاجموه فى شراسة ، وانتزعوا منه مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

ـ اذهبوا إلى الجحيم أيها الوحوش .

ألقوه أرضًا ، وامتدت أيديهم إليه فى شراسة ، وصرخت (مشيرة) :

- لا .. قاوم يا (أكرم) .. قاوم .

ولكن المقاومة كانت مستحيلة تماما ، مع كل هذا العدد ، وكل هذه الشراسة ، وبدا من الواضح أن (أكرم) سيصبح أول ضحية لجيش الهمج الوحشى ، و ...

وفجأة انهار جدار آخر ، من جدران الممر ، وظهر آخر شخص ، يتوقع الجميع رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وعلى الرغم من الملامح المخيفة لهذا الشخص ، بوجهه الأخضر الجامد ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، هتفت (مشيرة) فى سعادة جمة لرؤيته :

- (س - ١٨) !

توقف جيش الهمج كله دفعة واحدة ، والتفت إلى (س - ١٨) فى رعب ؛ فلم يكن أحدهم قد نسى قوته ، ولا أسلوبه العنيف فى مواجهة زملائهم من قبل ..

وران صمت رهيب على المكان ..

صمت استغرق دقائق طويلة ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

- ترى أيعنى ظهور (س - ١٨) انتهاء المشكلة ، أم بداية مشكلة أكبر ؟

جاوبه صمت مطبق ، استغرق دقيقة أخرى ، قبل أن يطلق أحد الهمج صرخة قتالية ، ويرفع هراوته ، منقضًا على (س - ١٨) ..

ودون أدنى تفكير ، اندفع باقى الهمج خلفه ، وهم يطلقون صرخات مماثلة ، ويلوحون بهراواتهم فى وحشية ..

ورأى (س - ١٨) هذا الجمع ينقض عليه ، ولكنه بقى جامدا صامتا ، حتى صار الجميع على قيد متر واحد منه ، فرفع ذراعيه بغتة ..

وانطلقت من قبضتى (س - ١٨) أشعة زرقاء باهتة ، أحاطت بجمع الهمج كله ، فارتجفت أجسادهم فى عنف ، ثم سقطوا أرضا ..

وهتفت (سلوى) :

- هل قتلهم ؟

أجابها الدكتور (حجازى) فى سعادة :

- بل اتبع تعليمات (نور) يا (سلوى) ، واكتفى باستخدام أشعة التجميد ، التى شلت حركتهم موقتا دون أن تؤذيهم .. لقد شفى (س - ١٨) يا بنيتى .

هتفت (مشيرة) فى سعادة :

- حمدا لله .. حمدا لله .

أما (أكرم) ، فقد نهض قائلا فى دهشة :

- ما هذا الشىء ؟

أجابه (رمزى) مبتسما :

- (س - ١٨) هو الحارس الخاص للفريق يا عزيزى

(أكرم) ، وهو مقاتل أتلانتى قديم ، لا توجد وسيلة معروفة لهزيمته ، حتى وقتنا هذا (*) .

ردد فى دهشة :

ـ مقاتل أتلانتى ؟!

أما (سلوى) ، فقد اندفعت نحو (س ـ ١٨) ، وهتفت به :

ـ أنقذ (نور) و (نشوى) يا (س ـ ١٨) .. أنقذهما .. أرجوك .

التفت إليها (س ـ ١٨) فى بطء ، وردد العبارة الوحيدة المسجلة فى أعماقه ، بكل لغات الدنيا :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

جذبته (سلوى) من ذراعه إلى الخارج ، وهى تهتف فى لهفة :

ـ تعال يا (س ـ ١٨) .. سأشرح لك كل شىء .

تطلع إليها (أكرم) فى دهشة ، ثم التفت يسأل (رمزى) :

ـ هل أصيبت زميلتكم بالجنون ؟

قال الدكتور (حجازى) ، وهو يسرع خلف (س ـ ١٨) :

ـ بل ربما تكون قد وجدت الحل الأمثل .

غادر الجميع المقر السرى ، خلف (سلوى) و (س ـ ١٨) ، ورأوا (سلوى) تشير إلى السماء قائلة :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

ـ أتذكر يا (س ـ ١٨) ما حدث ، عندما أطلقت طاقة البروتون فى السماء ؟.. أتذكر تلك الفجوة ، التى حدثت هناك ؟.. لقد قادتنا هذه الفجوة إلى حيث (نشوى) .. ابنتى (نشوى) .

مال (أكرم) على (رمزى) ، يسأله :

ـ أتتوقع أن يفهمها الآلى ؟

أجابه (رمزى) فى اقتضاب :

ـ إنه يفهمها .

كان (س ـ ١٨) يتطلع إلى (سلوى) فى صمت ، وهى تتابع :

ـ ولقد استقل (نور) مركبة طائرة ، وعبر هذه الفجوة ، فى محاولة لاستعادة (نشوى) .

حفزت العبارة الأخيرة أجهزة (س ـ ١٨) فى اهتمام ، فكل أجهزته تقول : إن (نور) هو سيده .. سيده الوحيد .. وعليه حمايته دائما ، والذود عنه ، ضد كل ما ، ومن يتعرض له بسوء ..

وبصوت مرتجف ، أكملت (سلوى) :

ـ وتلاشت الفجوة ، قبل أن يعود (نور) و (نشوى) .

كان هذا يكفى ، بالنسبة لـ(س ـ ١٨) ..

لقد أدرك أن سيده يواجه الخطر ..

وأن عليه أن يحميه ..

وبأى ثمن ..

وفى هدوء ، ودون أن ينتظر سماع حرف زائد ، اتجه (س ـ ١٨) نحو نفس البقعة ، التى كان يقف فيها ، عندما أطلق طاقة البروتون ..

واستعادت ذاكرته الإليكترونية كل الإحداثيات ، الخاصة بتلك اللحظة ..

نفس المكان ..

نفس زاوية الإطلاق ..

نفس كمية الطاقة ..

وفى هدوء راحت قبضتا (س ـ ١٨) تتألقان ، بذلك البريق الأخضر ، فهتف (أكرم) :

ـ ماذا يفعل ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ أظنه يخطط لفتح فجوة أخرى فى السماء .

ردد (أكرم) فى دهشة بالغة :

ـ فجوة أخرى ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلمته ، رفع (س ـ ١٨) قبضتيه إلى أعلى ..

وانطلقت طاقة البروتون ..

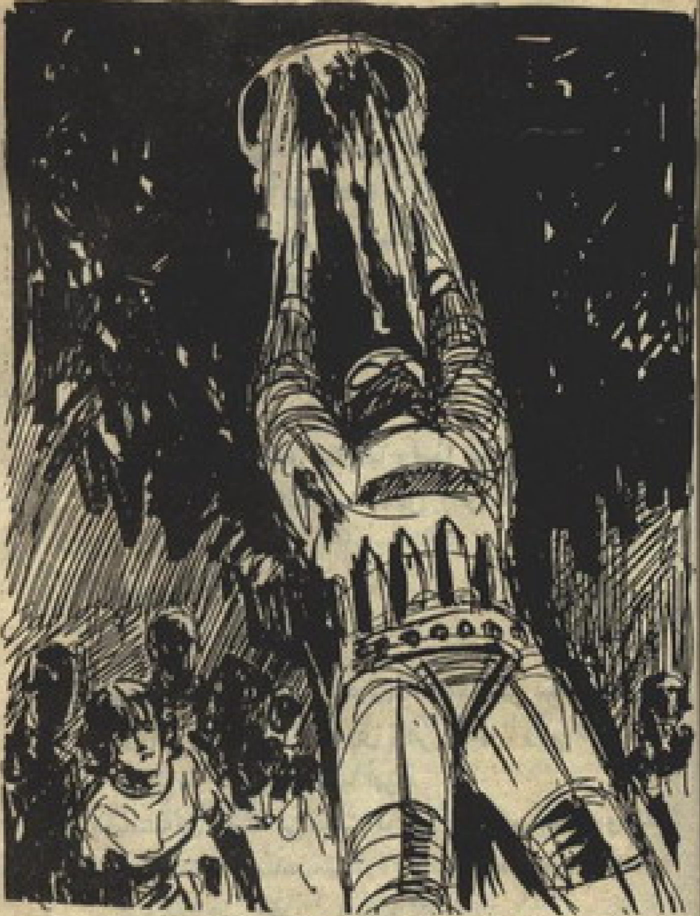

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها كلمته ، رفع (س ـ ١٨) قبضته إلى أعلى .. وانطلقت طاقة البروتون ..

أقوى طاقة صافية ، عرفها الكون ، حتى هذه اللحظة ..

وفى السماء ، تركت طاقة البروتون دائرة خضراء لامعة ، قبل أن تواصل طريقها ، إلى أعمق أعماق الفضاء السحيق ..

وصاحت (سلوى) فى سعادة .

ـ لقد نجح .. لقد صنع فجوة جديدة .

وبدون كلمة واحدة ، أطلق (س ـ ١٨) صواريخه الخلفية ، وانطلق فى الفضاء ..

نحو الفجوة مباشرة ..

وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. كم أشعر بالارتياح لهذا المشهد .

ومع آخر حروف كلماته ، غاص (س ـ ١٨) فى قلب الفجوة الخضراء ..

واختفى ..

* * *

صوّب الآليون أسلحتهم الكروية اللامعة إلى صدر (نور) و (نشوى) ، وصرخت (نشوى) فى رعب ، وهى تهتف :

ـ سيقتلوننا .. سيقتلوننا يا أبى .

انقبضت كل عضلة فى جسد (نور) ، وهو يبحث عن وسيلة للدفاع عن ابنته ، وصاحب البشرة البرتقالية يقول فى صرامة :

ـ اقتلوهما على الفور ، بمجرّد أن ..

وفجأة ظهرت تلك الفجوة الخضراء اللامعة ..

ظهرت فى نقطة مرتفعة من العدم ، وعبرتها حزمة ضخمة من طاقة البروتون ، لم تلبث أن تشتتت فى الفراغ اللانهائى ..

وصاح صاحب البشرة البرتقالية :

ـ ما هذا ؟!.. إنها طاقة هائلة .. من المستحيل أن تكون حضارتكم قد توصلت إلى مثلها ، أو إلى ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ (س ـ ١٨) .

لم يكد يتمّ كلمته ، حتى اندفع (س ـ ١٨) عبر الفجوة الخضراء ، فهتفت (نشوى) فى سعادة جمة :

ـ إنه (س ـ ١٨) بالفعل .. لقد نجونا يا أبى .. لقد نجونا .

ولم يحتج (س ـ ١٨) أكثر من نظرة واحدة ، فهم بعدها الموقف كله ، فاتجه نحو الآليين ، وأطلق أشعته الساحقة نحوهم ..

وانفجر الآليون فى عنف ، وتطايرت أشلاؤهم فى الفراغ اللامتناهى ، وصاح صاحب البشرة البرتقالية :

ـ أي مقاتل هذا .. أغلقوا الفجوة .. أغلقوها بسرعة .

ولكن (س ـ ١٨) عبر الفجوة ، قبل أن تنتهى كلمات الرجل ، واستقرّ داخل القاعة الضخمة ، وأدار عينيه فيها فى بطء ، فتراجع صاحب البشرة البرتقالية ، هاتفًا :

- اقتلوه أيها الحراس .. اقتلوه .

أطلق كل الحراس الآليين أشعة أسلحتهم على (س ـ ١٨) . وراحت الأشعة ترتد عن جسده المنيع فى عنف ، فى حين أطلق هو من عينيه أشعة ليزرية ، راح ينسف بها الأجهزة ، واحدا بعد الآخر ، وصاحب البشرة البرتقالية يصرخ :

- لا .. لا .. إنك تحطم كل شيء .

اقترب (نور) من الفجوة فى هدوء ، وقال للرجل :

- إنه واحد من مقاتلينا الآليين .. ما رأيك يا رجل ؟ أما زلتم تصرون على احتلال كوكبى ؟

هتف الرجل فى انهيار :

- خذه وانصرف .. لن نفكر أبدا فى بلوغ بعدكم .. أقسم أننا لن نحاول .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، وقال لـ(س ـ ١٨) :

- هيا بنا يا (س ـ ١٨) .. سنعود إلى الوطن .

قال (س ـ ١٨) فى هدوء :

- (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ثم أطلق أسلحته على كل الآليين ، ونسفهم فى لحظات معدودة ، قبل أن يتجه إلى الشاشة الضخمة ، ويعبر الفجوة إلى الفراغ اللانهائى ، وصاحب البشرة البرتقالية ملتصق بالحائط ، يهتف فى ارتياع :

- مستحيل !.. مستحيل أن يكونوا قد بلغوا هذا الحد .

لم يكد (س ـ ١٨) يتجاوز الفجوة ، حتى فوجئ به (نور) يستدير إليها ، ويلمس حافتها بأصابعه ، فقالت (نشوى) :

- ما الذى يفعله (س ـ ١٨) ؟

غمغم (نور) :

- لست أدرى ..

صاحب البشرة البرتقالية وحده أدرك ما يفعله (س ـ ١٨) ..

أدركه من مؤشر الطاقة لديه ، الذى أخذ ينخفض فى سرعة مذهلة ..

كان (س ـ ١٨) يمتص الطاقة من الفجوة ..

طاقة هائلة ، تكفى لإضاءة وتشغيل عشر مدن صناعية كبرى ، لشهر كامل على الأقل ..

طاقة رهيبة ، تعوض كل نقص الطاقة فى جسده ، بعد المجهود الآلى الشديد ، الذى بذله لإحداث الفجوتين ، والسفر ذهابا وإيابا إلى الشمس ..

وصرخ صاحب البشرة البرتقالية فى هلع :

- لا .. لا تمتص كل هذه الطاقة .. إنك ستتلف آلة الأبعاد .. لا تفعل بالله عليك ..

ولكن (س ـ ١٨) ظل يمتص ملايين الكيلوات من الطاقة ..

كان هذا ضمن برنامجه ، الذى وضعه الأتلانتيون ، منذ عشرات القرون ..

أن يحصل على الطاقة ، كلما وجد سبيلا لهذا ..

وخاصة من الأعداء ..

ومع الامتصاص الرهيب لمخزونها من الطاقة ، أخذت الفجوة تنكمش ، وتنكمش ، وسقط البرتقالى البشرة على ركبتيه ، وهو يقول فى انهيار :

- لا تمتص كل الطاقة أرجوك ..

كان من الواضح أن (س - ١٨) يحشد داخله طاقة هائلة ، تبلغ أقصى حد ، يمكن أن تحتمله آلياته ..

طاقة تكفى لتحريك كوكب كامل ..

وقال (نور) فى توتر :

- كفى يا (س - ١٨) .. كفاك ما حصلت عليه .

ردَّ (س - ١٨) فى هدوء ، وبصوته المعدنى المثير :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ولكنه واصل امتصاص الطاقة لعدة ثوان أخرى ، انبعثت بعدها فرقعة مخيفة ، وانتهت الفجوة تماما ..

وفى هدوء ، التفت (س - ١٨) الى (نور) و (نشوى) ، وجسده يتألق ببريق عجيب ، وكرر :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

تطلع اليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- (س - ١٨) عد بنا الى الوطن يا (س - ١٨) .

أحاطهما (س - ١٨) بذراعيه فى رفق ، ثم انطلق فجأة نحو الفجوة الخضراء ..

وشعرت (نشوى) بدوار شديد ، فهتفت :

- رويدك يا (س - ١٨) .. رويدك .

ولكن (س - ١٨) اخترق الفجوة بسرعته الكبيرة ، وأطلقت (نشوى) شهقة قوية ، وهى تشعر كأن روحها تفارق جسدها ، فى حين خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يشاهد مرة أخرى سماء الأرض ، بنجومها اللامعة ، فهتف :

- مرحى يا (س - ١٨) .. لقد نجحت .. لقد فعلتها مرة أخرى يا رجل .

كان يتحدث إليه كما لو كان صديقا قديما ، ولقد أدهشه كثيرا أن ردَّ (س - ١٨) عبارته المعدنية الوحيدة :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى ..

لم يدر لماذا شعر بالدهشة ، ولكنه قال فى امتنان :

- أشكرك يا (س - ١٨) .. أشكرك كثيرا .

وعند المخبأ السرى ، هتفت (سلوى) فى سعادة لا مثيل لها :

- لقد أنقذهما .. لقد عاد بهما (س - ١٨) .

انطلقت صيحات الفرح من الجميع ، وبكت (سلوى) فى فرحة عارمة ، فى حين ردَّد (أكرم) فى انبهار :

- مذهل .. هذا الآلى معجزة بحق .

ولا أحد يمكنه وصف ذلك الاستقبال ، الذى استقبلت به (سلوى) زوجها وابنتها ..

بل الذى استقبلهما به الفريق كله ..

لا أحد يمكنه ذلك أبدا ..

لقد كانت حرارة اللقاء أقوى من أن يصفها قلم بشرى ..

كانت دفقة من رحمة الخالق (عز وجل) ..

ولحظة من لحظات صفاء القدر ..

وحتى بعد ساعة كاملة من العودة ، كانت (سلوى) تحتضن ابنتها فى حرارة ، داخل المقر السرى ، وتهتف :

ـ حمدا لله على سلامتك يا (نشوى) .. حمدا لله على عودتك يا بنيتى .. إننى لم أتوقف لحظة واحدة عن التفكير فيك ، طوال الشهور الثلاثة الماضية .

قالت (نشوى) فى سعادة :

ـ ولا أنا يا أمى .. لقد استخدمت ناقل صوت فضائى ، فى مركبة (بودون) ، لأتصل بك عقليا ، وأزورك فى أحلامك .

قالت (سلوى) :

ـ كنت أعلم أن هذا حقيقى .. كنت واثقة من ذلك ، ولكن أحدا لم يصدقنى ـ تصور الجميع انها هلوسة أم ثكلى .

هتف (رمزى) :

ـ فيما عداى أنا .

التفتت اليه (نشوى) فى فرحة ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ أوحشنى فراقك كثيرا يا (رمزى) .

قال فى حنان جارف :

ـ ليس بأكثر مما لوعنى فراقك يا (نشوى) .

وشعرت (مشيرة) بقبضة باردة تعتصر قلبها ، وهى تستمع إلى هذا الحوار ، بين (رمزى) و (نشوى) ، فسالت دموع القهر من عينيها فى بطء ، وأطرقت بوجهها أرضا ، حتى سمعت صوت (أكرم) من خلفها ، يهمس :

ـ إننى لأدفع عمرى كله ، ثمنا لقطرة دمع واحدة .

غمغمت وهى تشيح بوجهها :

ـ إنها ذرة غبار ، و ...

قاطعها هامسا :

ـ لا داعى لهذا ، فأنا أضيق بمحاولات إهانة ذكائى .

تركت دموعها تنساب فى بطء وصمت ، دون أن تجيب ، فتابع :

ـ أعلم أنك تحبينه .. هذا واضح للجميع ، ولكنه يحبها هى ، فلا داعى لإهانة كرامتك أكثر من هذا .

قالت فى مرارة :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟

همس فى أذنها :

- أتسمحين لى بالتصرف ، لمداواة كرامتك الجريحة ؟

تمتمت :

- افعل ما يحلو لك .

سألها مبتسما :

- أتمنحينني ثقتك كلها ؟

أومأت برأسها إيجابا ، فاعتدل قائلا :

- عظيم .

ثم ارتفع صوته ، وهو يستطرد :

- استمعوا جيدا أيها السادة .. لقد وافقت (مشيرة) على خطبتى .

تطلعت العيون كلها إليهما فى دهشة ، وشعرت (مشيرة) بارتباك شديد ، مع ذلك الصمت ، الذى ساد المكان ، قبل أن يقول (رمزى) بابتسامة هادئة :

- مبارك .

اندفع الجميع يهنئون (أكرم) و (مشيرة) فى حرارة ، و (أكرم) يقول بابتسامة كبيرة تموج بالسعادة :

- أشكركم جميعا .. لقد حظيت بأفضل سيدة فى العالم .. إننى رجل محظوظ بحق .

وقالت (سلوى) فى سعادة :

- ينبغى أن نقيم احتفالاً بهذه المناسبة .. مناسبة عودة

(نشوى) و (نور) ، ونجاحنا فى إنقاذ الدكتور (رشاد) ، وخطبة (مشيرة) و (أكرم) .

قال (نور) فى لهجة حاسمة :

- لم يحن أوان الاحتفال بعد ، فكل ما حدث سيصبح بلا قيمة ، لو لم ننجح فى إعادة الحضارة إلى الأرض ، وإعادة العقول إلى سكانها .

سأله (أكرم) :

- ألم يقل (محمود) والدكتور (رشاد) : إنهما قد توصلا إلى المعادلات المطلوبة ؟

أجاب الدكتور (رشاد) :

- هذا صحيح ، ولكن الأمر لا يقتصر على المعادلات فحسب ، بل يتجاوزه إلى ضرورة الحصول على الوسيلة ، وفى ظل إمكانياتنا المحدودة ، والخراب الذى حلّ بالأرض ، ستبقى معادلاتنا مجرّد نظرية .. نظرية غير قابلة للتنفيذ عمليًا .

ومرة أخرى ، ضاع الأمل من القلوب ..

* * *

١١ ـ الوسيلة ..

استند (أكرم) برأسه إلى جدار الحجرة ، وأسبل جفنيه فى إرهاق ، بعد ساعة كاملة ، قضاها الفريق كله ، فى مناقشة يائسة ، للبحث عن وسيلة مناسبة ، لاستخدام المعادلات الجديدة ، التى توصل إليها (محمود) والدكتور (رشاد) ، وانتابه شعور بالضيق ، مع تلك النتيجة السلبية ، التى توصلت إليها المناقشات ..

لم تكن هناك وسيلة ممكنة ، لتوليد مقدار الأشعة العكسية المطلوبة ، أو لصنع قنبلة مضادة ، يمكنها أن تمحو مفعول قنبلة (جاما) ..

وهو يكره الاستسلام لليأس ..

ولم يشعر مع إرهاقه ، بـ(مشيرة) التى جلست إلى جواره ، وأسندت رأسها إلى الجدار بدورها ، وهى تهمس :

ـ أشكرك .

فتح عينيه ، وتطلع إليها لحظة ، ثم قال مبتسمًا :

ـ تشكريننى على ماذا ؟

قالت فى خفوت :

ـ على إعلانك خطبتنا .. كانت وسيلة جيدة ، لتثبت أمام

الجميع أننى مازلت امرأة مرغوبة ، ولست مجرد حبيبة مرفوضة .

ابتسم قائلا :

ـ بل أنا الذى يدين لك بالشكر .

سألته فى دهشة :

ـ على ماذا ؟

أجابها هامسًا :

ـ عل موافقتك على الخطبة .

هتفت فى دهشة :

ـ موافقتى ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لقد تمنيت هذا ، منذ وقع بصرى عليك لأوّل مرة .. إنك امرأة رائعة، وأنا أميل إليك بحق .

تطلّعت إليه لحظة فى صمت متسائل ، ثم همست :

ـ (أكرم) .. هل أنت جاد ؟

أجابها فى حرارة :

ـ لم أكن جادًا ، فى حياتى كلها ، مثلما أنا الآن .

بقيت تتطلّع إليه لحظات ، ثم أشاحت بوجهها ، مغمغمة :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. لا يمكننى أن أخدعك ، أو أن ..

قاطعها فى حنان :

ـ فقط امنحينى الفرصة لإثبات صدق مشاعرى .

قالت فى تردد :

ـ وماذا عن مشاعرى أنا ؟. إننى لست مجرد آلة ، يمكنها تبديل مشاعرها فى لحظة واحدة ، بضغطة زر ، أو ..

هتف فجأة :

ـ آلة ؟!.. نعم .. هذا هو الجواب .

تطلعت إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ جواب ماذا ؟

هبّ واقفا على قدميه ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ نعم .. هذا هو الجواب .

حدقت فيه بدهشة ، وهو يندفع نحو ذلك الركن ، الذى جلس فيه أفراد الفريق ، يحاولون البحث عن الوسيلة ، ويهتف فى حرارة :

ـ لقد وجدت الجواب .

التفتوا إليه فى تساؤل ، وغمغمت (نشوى) :

ـ أى جواب ؟

أشار بيده فى انفعال ، نحو (س ـ ١٨) ، الذى يقف صامتا جامدا ، فى الركن الآخر للقاعة ، وهتف :

ـ ذلك الآلى هو الجواب .. هو الوسيلة التى يمكنكم بها إعادة كل شىء إلى ما كان عليه .

فهم الدكتور (رشاد) و (محمود) ما يعنيه على الفور ، فغمغم (محمود) فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. (س ـ ١٨) !!

أما الدكتور (رشاد) ، فهتف :

ـ بالطبع .. كيف لم ننتبه إلى هذا .. (س ـ ١٨) هو الحل الوحيد .

انعقد حاجبا (نور)، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه الدكتور (رشاد) فى انفعال :

ـ لقد توصّل إليها (أكرم) ، وكان ينبغى أن نفعل نحن أوّلا ؛ بحكم خبرتنا .. إننا نستطيع استخدام الطاقة الهائلة ، فى جسد (س ـ ١٨) ، لتكوين القنبلة المضادة .

سأله (نور) فى حذر :

ـ كيف ؟

لوّح بكفيه ، قائلا :

ـ نمنحه المعادلات التى توصّلنا إليها ، ونطلب منه تكوين الأشعة المطلوبة ، بكل الطاقة الكامنة فى أعماقه ، وبعدها يتخذ نقطة محدودة مسبقًا ، والأفضل أن تكون نفس النقطة التى انفجرت فيها قنبلة (جاما) وينسف نفسه ، و ...

ارتفع حاجبا (نشوى) فى هلع ، وحدقت (سلوى) فى وجهه بذهول ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ مستحيل !

قال الدكتور (رشاد) :

ـ ما هو المستحيل ؟!.. إنها فكرة علمية تماما .. سنصنع من هذا الآلى قنبلة عكسية ، و ...

قاطعه (نور) فى حدة :

ـ قلت لك : مستحيل .

ثم ضرب سطح المنضدة بقبضته فى حدة ، مستطردا :

ـ لن ننسف (س ـ ١٨) أبدا .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولم لا ؟.. إنه مجرد آلى ، وهو الوسيلة الوحيدة لدينا الآن ، لتعود الأرض إلى ما كانت عليه .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ لن يكون (س ـ ١٨) هو الثمن .

هتف (أكرم) :

ـ لماذا ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

ـ أنسيت أن (س ـ ١٨) هو الذى أنقذ حياتكم جميعا ، عندما هاجمكم الهمج ؟.. أنسيت أنه أنقذ حياتى وحياة (نشوى) ، عندما كدنا ننتهى ، فى أرض العدم هذه ؟

اعتدل (أكرم) ، وهو يقول :

ـ لا أيها الرائد (نور) .. لم أنس هذا أبدا .. ولم أنس أنه أنقذ حياتك وحياة فريقك أكثر من مرة فى الماضى ، ولكن ليس

هكذا يفكر القائد .. إنك لست هنا للدفاع عن حياة (س ـ ١٨) يا (نور) .. إنك هنا للعمل على إنقاذ كوكبك كله ، ومهمتك المقدسة هذه تحتاج منك إلى بذل روحك نفسها ، لو اقتضى الأمر ، لإعادة الأمور إلى نصابها .. أنا نفسى ما كنت لأتردد لحظة واحدة ، فى التضحية بنفسى ، لو كان هذا هو الثمن المطلوب ، لإنقاذ الأرض وسكانها ، فكيف ترفض التضحية بـ(س ـ ١٨) ؟

كانت كل كلمة نطق بها منطقية تماما ، حتى أن الوجوم قد ساد الحجرة لحظات ، قبل أن يعتدل هو ، قائلا :

ـ إنه قرارك أيها الرائد .. قرار قائد ، لا يصح له أبدا أن يتخلى عن واجبه .. مهما كان الثمن .

ثم استدار ، وابتعد فى حزم ..

وطال الصمت ـ بعد انصرافه ـ بعض الوقت ، حتى قال (نور) فى مرارة :

ـ إنه على حق يا رفاق .

هتفت (سلوى) فى استنكار :

ـ (نور) .. هل يمكنك التضحية بـ(س ـ ١٨) ؟

سألها فى ألم :

ـ ألديك حل بديل ؟

اتسعت عيناها فى ذعر ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فى حين رددت (نشوى) فى ارتياع :

- (س ـ ١٨) .. يا إلهى !

نهض (نور) من أمام المائدة ، وقال فى حزن عميق :

- أعلم أنه حل مخيف ، وأن التضحية بـ(س ـ ١٨) ليست بالأمر الهين أو البسيط ، ولكننا نسعى منذ زمن لإنقاذ الأرض ، وإعادة الحضارة إليها .

ثم اتجه إلى خزانة صغيرة ، فى ركن الحجرة ، وأخرج منها حقيبة صغيرة ، رفعها أمام وجوه الجميع ، مستطردا :

- أترون هذا .. إنها مجموعة من مكعبات الكمبيوتر ، تحوى كل حضارة وآداب وفنون وعلوم الأرض ، يوم وقع الاحتلال(*) .. لقد أعطانى القائد العام إياها ، يوم غزو الأرض ، وطلب منى المحافظة عليها بحياتى ، وبذل قصارى جهدى ؛ لاستخدامها فى إعادة الحضارة إلى الأرض ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، ولقد وعدته ـ رحمه الله ـ أن أفعل ، ولكننى لن أستطيع استخدام هذه المكعبات أبدا ، لو بقيت الأرض على ما هى عليه ، من همجية وتخلف .

وخفض يده ، مستطردا فى مرارة :

- ولقد قالها (أكرم) .. لو كانت حياتى نفسها ، هى الثمن المطلوب ، لإعادة الأرض إلى ما كانت عليه ، قبل أن يحتلها غزاة (جلوريال) ، لما ترددت لحظة فى التضحية بها ، من أجل هذا الثمن .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وانخفض صوته ، مع متابعته :

- وهذا ينطبق أيضا على (س ـ ١٨) .

ساد الصمت التام لحظات ، ثم همهمت (نشوى) :

- يا للخسارة !

تنهد (نور) فى عمق ، ثم التفت إلى الدكتور (رشاد) يسأله :

- أأنت واثق من أنه الحل الوحيد ياسيدى ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابا ، وقال :

- للأسف يا (نور) .

سأل (نور) (محمود) :

- وماذا عنك أنت ؟

أجابه فى اقتضاب حزين :

- إنه الحل الوحيد يا (نور) .

اعتدل (نور) فى مرارة ، وصمت لحظات ، قبل أن يقول :

- فليكن .. سأعرض الأمر على (س ـ ١٨) .

قال (أكرم) فى دهشة .

- تعرضه عليه ؟!.. ماذا تعنى ؟.. إنه مجرّد شخص آلى .. يكفى أن تأمره .

قال (نور) فى صرامة :

- لا يمكننى أن آمره بأداء أمر ما ، وما زلت أجهل كل إمكانياته حتى الآن .

قالها واتجه إلى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ (س ـ ١٨) .. لدينا مشكلة .

التفت إليه (س ـ ١٨) ، وقال بصوته المعدنى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

راح (نور) يشرح له الأمر فى بساطة ، بكل الأبعاد والتفاصيل ، كما لو كان يتحدث مع صديق حميم ، أو زميل نابه ، وتطلع إليه (أكرم) لحظات فى دهشة ، ثم مال على أذن (مشيرة) ، هامسا :

ـ إنكم تتعاملون مع ذلك الآلى ، كما لو كان بشريًا .

غمغمت وهى تتطلع إلى (نور) و (س ـ ١٨) فى إشفاق :

ـ أحيانا يبدو لى كذلك .

أما (س ـ ١٨) فقد استمع إلى (نور) فى صمت ، واستوعبت أجهزته الأمر كله ، وراحت تدرسه فى سرعة وعناية ، ثم قال (س ـ ١٨) عبارته الوحيدة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وانطلق فجأة خارج المكان ..

والعجيب أن الجميع قد شعروا بانقباضة فى صدورهم ، عندما غادر الآلى المكان ، وسالت دموع (نشوى) ، وهى تقول :

ـ وداعا يا (س ـ ١٨) .. وداعا .

أسرع الجميع إلى شاشات الرصد ، يتابعون انطلاقة

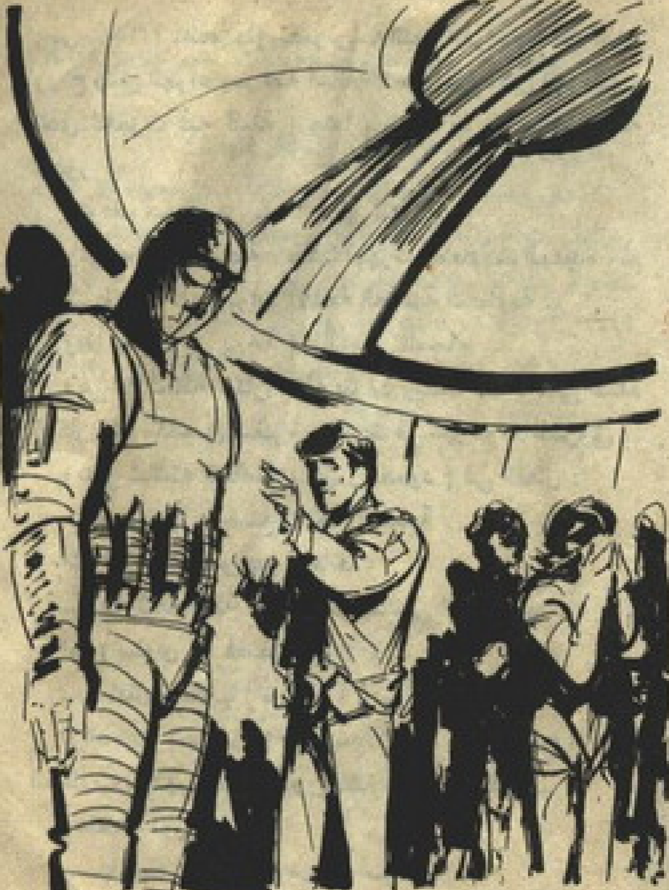

راح (نور) يشرح له الأمر فى بساطة ، بكل الأبعاد والتفاصيل ، كما لو كان يتحدث مع صديق حميم ..

(س ـ ١٨) ، الذى حلق بصواريخه الدافعة فى سماء الكوكب ، وراح يشق الهواء بسرعته البالغة ، حتى بلغ نفس الموضع ، الذى انفجرت فيه قنبلة (جاما) ، منذ ما يقرب من ثلاثة شهور ..

وتوقف جسد (س ـ ١٨) فى الهواء ..

وفى سرعة وبساطة ، حللت أجهزته المعادلات الجديدة ، ثم جندت طاقتها كلها لتوليد الأشعة العكسية المطلوبة ..

وبدأ جسد (س ـ ١٨) يتألق فى السماء ..

وفى كل لحظة ، كان تألقه يتزايد ويتضاعف ، حتى أضاء المكان كله ، كشمس صغيرة ، أشرقت فى غير موعد الشروق ..

وعلى شاشته الخاصة ، قال (محمود) فى انفعال :

ـ لقد صنعها .. صنع الأشعة العكسية .

أشاح (أكرم) بوجهه ، هاتفًا :

ـ إنها أشعة قوية للغاية .. لا يمكننى النظر إليها .

أما (سلوى) ، فغمغمت :

ـ لا تقتل نفسك يا (س ـ ١٨) .. أرجوك .

تزايد تألق (س ـ ١٨) فى شدة ، وبدا من الواضح أنه ينفذ المطلوب بمنتهى الدقة ، دون مشاعر أو عواطف ..

وهتف (نور) :

ـ سيفعلها .. أنا واثق من أنه سيفعلها .

وصاح الدكتور (حجازى) :

ـ أتظنه سيبقى بعدها على قيد الحياة ؟.. أعنى هل من الممكن أن ..

قبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار الهائل ..

انفجار رهيب ، سطع كشمس عملاقة ، فى سماء الأرض ، وانطلق منه غلاف إشعاعى هائل ، أحاط بالكوكب كله فى سرعة الضوء ، فتألق غلافه الجوى ببريق أخاذ ، بحيث أصبح من الممكن أن ترصده حضارة أخرى ، فى منظومة شمسية بعيدة ، واستغرق الأمر دقائق ثلاثًا ، تلاشى بعدها البريق ، ولم يعد هناك أدنى أثر للضوء فى السماء ..

ولا لـ(س ـ ١٨) .

* * *

١٢ ـ الختام ..

بدا (أكرم) شديد السعادة ، وهو يعبر مدخل المقر السرى ، هاتفًا :

ـ نتيجة رائعة .. أروع مما كنا نتصوّر بكثير .. كل من التقيت بهم ، فى هذه الجولة الطويلة ، استعادوا عقولهم .. لم يعد هناك همج ، فى هذه المنطقة على الأقل .. لقد فعلت القنبلة العكسية مفعولها .

أضاف الدكتور (حجازى) :

ـ والجميع لا يذكرون شيئا عن فترة فقدان العقول .. آخر ما يتذكرونه هو انفجار قنبلة (جاما) ، ولقد بدا لهم الانفجار العكسى ، وكأنه امتداد للانفجار الأوّل ، وكأنما تلاشت المرحلة المتوسّطة من ذاكرتهم تمامًا .

تنهّد (نور) ، وقال :

ـ ربما كان هذا أفضل لهم .

ثم التفت إلى (محمود) يسأله :

ـ ألا توجد أية أخبار ، عن (س ـ ٢٨) ؟

هزّ (محمود) رأسه نفيا فى أسف ، وقال :

ـ لست أتوقع أية أخبار يا (نور) .. لقد نسف (س ـ ١٨) نفسه ، كما رأينا جميعًا ، لينقذ الأرض مما أصابها .

سأله (نور) فى خفوت :

ـ ألا يحتمل أنه قد انتقل إلى بُعد آخر ، أو ...

قاطعه (أكرم) مستنكرًا :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟.. تبدو كما لو أنك قد فقدت صديقًا عزيزًا !

تنهّد (نور) ، قائلًا :

ـ هذا ما حدث بالفعل .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتف (نور) فى حنان ، وهو يقول :

ـ لقد كانت حربًا جديدة ياولدى .. حربًا ضد التخلّف والجهل .. ولكل حرب ضحاياها ، مهما كانت عادلة أو شريفة .. ولن ينسى أحدنا أبدًا (س ـ ١٨) ، الذى ضحى بحياته من أجل الأرض ، ومن أجل عودة الحضارة .

تمتم (نور) فى حزن :

ـ المهم أن تضحيته قد أثمرت .

هتف (أكرم) :

ـ أكثر مما تتصور .. أراهنك أن الأرض ستستعيد حضارتها كلها ، خلال عام واحد .. إننى لم أشعر فى حياتى كلها بالسعادة ،

مثلما شعرت بها فى تلك الجولة ، وأنا ألتقى بالعقلاء المتحضرين فى كل مكان .

كان هذا يكفى لإزالة بعض أحزان (نور) ، الذى قال :

ـ نعم .. لن ينسى أحدنا (س ـ ١٨) ، وكذلك لن ننسى بطلًا آخر ، عاش حياته يحلم بالبطولة ، ثم قضى نحبه لينضمّ إلى أبنائها .

سأله (أكرم) :

ـ أتقصد (نادر) ؟

أجابه بإيماءة من رأسه ، وقال ، وهو يتطلع إلى أضواء الفجر فى الشفق :

ـ نعم .. أقصد (نادر) .. ستستعيد الأرض حضارتها بإذن الله ، وسيستعيد البشر عقولهم ، والفضل يعود إلى عشرات التضحيات ، التى سينساها الناس مع مرور الوقت ، ولكن يكفى أن هذه التضحيات كلها قد أثمرت .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ لقد ذهب عهد الظلمة يا رفاق ، وستبدأ الأرض عهدًا جديدًا ، تستعيد فيه كل ما فقدته .. عهد البناء .

وصمت لحظة ، ثم أكمل فى حزم :

ـ وعهد السلام .

وأشرقت الشمس فى الأفق .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥